حضارة الإسلام

إنسانية شاملة

علي القَاضِيّ

الكتاب : حضارة الإسلام .. إنسانية شاملة

الكاتب : علي القاضي

الطبعة : ٢٠١٧

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

القاضي ، علي

حضارة الإسلام .. إنسانية شاملة / علي القاضي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية

.. ص ، .. سم

تدمك: ٣ – ٤٩٤ – ٤٤٦ – ٩٧٧ –٩٧٨

أ. العنوان رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٥٠٦٥

حضارة الإسلام

إنسانية شاملة





مقدمة

يلاحظ أن الحضارات البشرية على مدى التاريخ حضارات مادية لا تهتم بالجانب الروحي ولا بالأخلاق السليمة.ولكن حضارة الإسلام حضارة إلهية اتجاهها الأول نحو العقيدة الإلهية وعبادة الله وحده لا شريك له والجوانب الأخلاقية السليمة إلى جانب النواحي المادية التي تسهم في عمارة الأرض، ولذلك فإن المسلمين كان لهم السبق في مجالات الحياة التي تخدم الإنسان أيا كان جنسه أو دينه، وقد فتحوا المدارس والجامعات للغربيين ليتعلموا فيها من علماء المسلمين مما كان له الأثر الواضح على ظهور الحضارة الغربية الحديثة.

وقد اعترف كثير من الغربيين بما قدمته الحضارة الإسلامية من خدمات جليلة ومن هؤلاء العلماء العالمة الألمانية (سيجريد هندلكة) التي قالت في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): "إن هذا الكتاب يرغب في أن يرد للعرب دَيْنًا لهم على البشرية منذ زمن بعيد".

وللحضارة الإسلامية أسس قامت عليها وخصائص تميزت بها عن الحضارات الأخرى ومن أهمها: العقيدة الإلهية، وشمولية الإسلام وعالميته، والحث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وتربية الإنسان الصالح الذي يقتصر دوره على دولته.

وقد برزت الحضارة الإسلامية في كل مجالات الحياة بحيث ترقى بالإنسان المسلم في كل مستويات حياته ومن مظاهر هذه الحضارة: الجانب السياسي، والجانب الاقتصادي، والجانب الاجتماعي، والجانب العلمي، والعلاقات الدولية، والنظام التشريعي، والنظام القضائي، والجانب العسكري، والجانب المعماري، والجهاد في سبيل الله.

ويلاحظ أن: الجهاد في الإسلام لا مكان فيه للعدوان على حق الآخرين في العقيدة، وليس فيه إهدار لأي حق من حققوق أي إنسان، وإنما الجهاد شرع من أجل أن تصل رسالة الله تعالى إلى البشرية كلها، وهو جهاد ضد من يقف أمام تبليغ كلمة الله إلى الناس كافة، ويظهر ذلك في قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّـهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) {البقرة ١٩٣}، إلى جانب الدفاع عن المسلمين المستضعفين في الأرض يقول الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) {النساء ٧٥}.

وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب إلى جانب المقدمة والخاتمة:

الباب الأول: يشمل نظرة القرآن الكريم إلى الإنسانية وسنن الله تعالى في الأنفس والأفاق ومقومات الشخصية في الإسلام ودوافع السلوك في القرآن الكريم والهندسة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية وسكينة القلب وأثرها في الفرد والمجتمع.

الباب الثاني: ويشمل خصائص الحضارة الإسلامية والتي تظهر في التفكير السليم والتخطيط السليم والإحسان والترويح والجهاد في سبيل الله والتوازن وسكينة النفس وعناصر العلاقات الاجتماعية والذوق الجمالي وموقف الإسلام من الإيجابية والسلمية.

الباب الثالث: الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة والاستلاب الثقافي للأمة الإسلامية، والتغريب يشمل الألفاظ والخلل في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وصدمة المستقبل وهى تلخيص لكتاب ألفه كاتب غربي بيَّن فيه الصدمة التي ستصيب الحضارة الغربية ثم الصحوة الإسلامية والإسلام والمستقبل إلى جانب الدولة العصرية في الرؤية الإسلامية وكيف تعيد للحضارة الإسلامية مجدها.

علي القاضي



الباب الأول

نظرة القرآن الكريم إلى الإنسانية



القرآن الكريم ينظر إلى الإنسانية في التاريخ على امتداد الزمان والمكان على أنها وحدة فالوجود من ماء والناس كلهم من آدم وآدم من تراب يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ) {المؤمنون ١٢}

وإذا كان أصلحهم واحد فإن الحكمة من وجود شعوب وقبائل إنما هو التعارف يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) {الحجرات ١٣}.

فالفرقة بين الناس والشعوب ليست طبيعية ومهمة الأنبياء إعادة الناس إلى الفطرة السليمة، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يربط الأنبياء جميعًا برباط واحد ثم يربطهم بمحمد ﷺ ولذلك كان من الخطر على المؤمن أن يؤمن بمحمد ﷺ ولا يؤمن بغيره يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) {النساء ١٥٠-١٥١}، لأنه بذلك سيقف أمام أصل ثابت بنيت عليه الإنسانية.

في سورة الأنبياء سرد سريع للأنبياء عليهم السلام يعقب على ذلك بقوله: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) {الأنبياء ٩٢}، ثم يقول: (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) {الأنبياء ٩٣}.

ثم يستمر السرد ليبين لنا أن مشكلة البشرية الأولى تكمن في الاختلافات ويربط القرآن الكريم بين الأنبياء جميعًا باستعمال لفظ (الإسلام) فنوح عليه السلام يقول: ﴿وَأُمِرتُ أَن أَكونَ مِنَ المُسلِمينَ﴾ {يونس ٧٢}، وإبراهيم عليه السلام قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {البقرة ١٣١} ويبلغها لأبنائه، ويعقوب عليه السلام يقول: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة ١٣٣}، ويوسف عليه السلام يقول: ﴿تَوَفَّني مُسلِمًا وَأَلحِقني بِالصّالِحينَ﴾ {يوسف ١٠١}.

وموسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿يا قَومِ إِن كُنتُم آمَنتُم بِاللَّـهِ فَعَلَيهِ تَوَكَّلوا إِن كُنتُم مُسلِمينَ﴾ {يونس ٨٤}، وعيسى عليه السلام يقول: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ {آل عمران ٥٢}، ثم يربط هذا كله بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّـهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة ١٣٦}.

ويرسم القرآن الكريم مبادئ هبوط دول وارتفاع أخرى حين تكلم عن نهاية قوم عاد وثمود وسبأ وأثبت التاريخ ذلك في سبأ: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ {سبأ ١٦}، فقد كانوا في الأصل موحدين مع سليمان ثم تركوا ذلك فجزاهم الله تعالى بفعلهم وكشفت النقوش ذلك فذهب السد بالسيل العرم.

ونحن نؤمن أن الدولة لا تقوم إلا على أساس الدين الإلهي، والغربيون ينظرون نظرة مخالفة لذلك، ويعملون جاهدين على أن تكون نظرة

المسلمين مثل نظرتهم، ولذلك فإننا نجد مؤسسات غربية كثيرة تسير في هذا الاتجاه حتى لا تتكون دولة إسلامية على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولقد أمَّ النبي ﷺ الأنبياء جميعًا في المسجد الأقصى ليلة الإسراء؛ وهو يعتبر قلب الدائرة للحضارات الوسطى فإن النبي ﷺتسلم الراية منهم وارتفع إلى السماء، والقرآن الكريم ربطهم جميعًا برباط السماء.

النبوات:

وحين ندرس تاريخ النبوات نجد أن المؤرخين الغربيين فصلوا النبوات عن التاريخ لأنهم وضعوه تحت علم اللاهوت، وعلم اللاهوت يمزج بين الفلسفة والتاريخ ولذلك فقد اختلفوا في فرعون وموسى.

ويظهر أن اليهود قد تعمدوا أن يفصلوا كل شيء عن النبوات الأولى حتى لا تتعارض الآثار مع التوراة المحرفة وقد كان لليهود الدور الأكبر في طمس المعالم التاريخية للنبوات.

ومما يلاحظ أن الذين تولوا الكشف عن الآثار المصرية مثلًا كانوا من اليهود ولا يمكن أن يكون هذا من باب المصادفة وقد اكتشفوا جثث ملوك من عصور قديمة تبلغ ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح، أما إبراهيم وموسى وعيسى ويوسف – فلا نجد من آثارهم شيئًا – وليس من المعقول

أن تغفل الآثار تاريخهم ذلك لأن المصريين مولعون بكتابة كل جديد فلماذا لا نجد كلمة واحدة عن هؤلاء الأنبياء ؟!

والقرآن الكريم تكلم كثيرًا عن الأنبياء عليهم السلام وما يقوله القرآن يتفق مع التاريخ؛ ومن ذلك دولة سبأ، فقد اكتشفت البعثة الأمريكية الآثار كما ذكرها القرآن الكريم في دولة سبأ الأولى التي قامت على االتجارة، ودولة سبأ الأخيرة التي قامت على الزراعة.

وقد دلت الآثار على أن مدنًا كثيرة أنشئت على شكل مستعمرات لتستقبل التجارة ولم يكن معروفًا من قبل القرآن الكريم، وسد مأرب وما يستتبعه من قنوات تأخذ من هذه الأخبار ويجمعها القرآن الكريم في كلمات قليلة: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) {سبأ ١٨}، وأثبت المؤرخون أنهم غيروا التجارة من البر إلى البحر للترف والظلم فحطمت أساطيلهم، يقول الله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) {سبأ ١٩}، وقد كتب كثير من العلماء عن هذه الدولة وأصبح المثل العربي (وتفرقوا أيدي سبأ) مشهورًا عند جميع العرب.

وأكثر الأنبياء ورودًا في القرآن الكريم إبراهيم وموسى، وإبراهيم أبو الأنبياء وموسى رائد سلسلة أنبياء وملوك بني إسرائيل الطويلة، الدور الواسع المعقد المتشعب الذي لعبه كل منهما في ميدان الدعوة إلى الله الواحد.

والمساحة الزمانية والمكانية التي شغلاها والتي تؤكد معطيات الآثار المعاصرة على أفرادها وشمولها وخطورتها تبين الأسباب الحقيقية وراء هذا التأكيد في المواضع المختلفة على تجربة هذين المبعوثين الإلهيين مع عدد من الجماعات.

العروض القرآنية:

يعرض القرآن الكريم مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث التاريخية وردود الأفعال التي أثارتها، وهناك عدد من التجارب التي مارسها أفراد عاديون سلبًا كأصحاب الحجر وقوم لوط وايجابًا مثل أهل الكهف وأصحاب الأخدود وقادها ملوك وزعماء كبار مثل فرعون وقارون وذي القرنين، ويلاحظ أن بعض آيات القرآن الكريم تتحدث عن المستقبل مثل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) {الفتح ٢٨}، وقد رأى رسول الله ﷺ كثيرًا من هذا الذي وعد الله تعالى به المسلمين مثل الانتصار في غزوة بدر وفتح مكة وعام الوفود، والغرض من إيراد العروض التاريخية: إثارة الفكر البشري والبحث الدائم عن الحق وتقديم خلاصة التجارب البشرية عبرًا يسير على هديها أصحاب العقول المفكرة، يقول الله تعالى: (لَقَد كَانَ في قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبابِ) {يوسف ١١١}.

ويلاحظ أن القرآن الكريم يقدم لنا أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية، وهذا

يتمثل في التأكيد المستمر على قصص الأنبياء وتاريخ الجماعات والأمم السابقة.

إظهار وجود سنن ونواميس تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وتطورها وانتقالها من حال إلى حال، والقرآن الكريم يلقى ضوءًا إيضاحيًا على ذلك فيقول: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) {فصلت ٥٣}، والقرآن الكريم ينظر إلى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعًا – فرؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتدادها الزمني الماضي والحاضر والمستقبل – فهو تفسير واقعي دون تبرير أو تحوير، ومن خلال ذلك ينطلق إلى أهدافه ومثالياته وآفاقه فيسمي معركة حنين هزيمة وفرارًا ويخاطب مهزومي أحد بأنهم السبب وراء تلك الهزيمة ويعلم المسلمين ألا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا في تفسير الأحداث والوقائع كما يعلمهم أن يأخذوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ دروسًا في صياغة العالم المرتجى.

السنن الإلهية في الأنفس والآفاق

المسلمون في العصر الحديث يمثلون ٢٧% من سكان العالم ومع ذلك فإنهم غثاء كغثاء السيل ويصدق عليهم قول الشاعر:

ويقضي الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهودٌ

ترى ما السبب في ذلك ؟

إن السبب يكمن في افتقاد وسائل الفهم الصحيحة وفقه السنن الإلهية في الأنفس والآفاق وهى التي تحكم الحركة التاريخية الاجتماعية والنفسية – سنن سقوط الأمم ونهوضها – وغالبًا ما يجيء ذلك في أعقاب القصص القرآني.

وقد أكد فضيلة الشيخ محمد الغزالي على أن السنن جارية على الناس جميعًا وأن اكتشافها والتعامل معها أمر لابد منه للشهود الحضاري (عمارة الأرض والقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني) الشهادة والقيادة للناس استجابة لقوله تعالى:

(لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) {البقرة ١٤٣}.

واكتشاف السنن هو الذي مكّن العالم الغربي من التقدم والتحكم، وغفلة المسلمين عنها السبب في الانحطاط والتخلف، وقد أصبحوا مسَخَّرين بدل من أن يكونوا مسَخَّرين.

ومن أمثلة السنن الواردة في القرآن الكريم والتي عجز عنها المسلمون اليوم فلم يستطيعوا تسخيرها والتعامل معها بينما جيل القدوة أحسن إدراكها حتى تمكن من بناء الحضارة:

سُنَّة التدرج: يقول الشيخ الغزالي: نحن نريد أن نُعَلّم الناس الإسلام كله، فإذا كان الإسلام سبعين شعبة أو أكثر فلنبدأ بالأهم فالمهم، ونأخذ الناس بطريق التدرج كما فعل القرآن الكريم وهو يعرض تعاليمه على الناس،

والتدرج سنة قرآنية لها أبعاد تربوية لابد من إدراكها حتى يمكن تبليغ دعوة وإقامة حضارة.

والتدرج لا يكون في ميدان العقيدة أبدًا فالله تعالى واحد وقد رفض النبي ﷺ استبقاء شيء من عبادة الأصنام رفضًا باتًا فلا تدرج في ذلك ولا يمكن قبول شيء يخالف ذلك، والمهم أنه خلال ربع قرن أمكن علاج النفس البشرية كلها من الأمراض لأن الأمراض الموجودة تشكل نماذج من الأمراض كلها على امتداد الزمان والمكان، والخالدة في النفس البشرية.

سُنَّة التداول الحضاري: بعد أن قص الله سبحانه وتعالى قصة غزوة أحد وما خضع له المسلمون من سنة كان تجاهلها سببًا في هزيمتهم قال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {آل عمران ١٦٥}، وقد عقب القرآن الكريم على ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ {آل عمران ١٣٩-١٤٠}، وهذا ما يسمى بالتداول الحضاري.

إن خميرة النهوض موجودة في القرآن وأسباب النهوض والسقوط موجودة في القرآن وهى (السنن) وهى أشبه ما تكون بمعادلات رياضية، وبمجرد أن أحسن المسلمون السير معها أوجدوا حضارة وعندما يتنكرون لها يكون السقوط.

وفساد الحكم قشرة في النظام الإسلامي لأن الإسلام ليس حزبًا سياسيًا وإنما هو مجموعة من القيم والتعاليم الخالدة.

سُنَّة المدافعة: سنة المدافعة مأخوذة من قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) {الحج ٤٠}، هذه السُنَّة الاجتماعية هى التي تحكمها التجمعات البشرية ويلمح الإنسان أثرها في كل زمان ومكان حيث يسلط الله سبحانه وتعالى الظالمين بعضهم على بعض، وبذلك تكون فرصة لنجاة المستضعفين ونمو الخير وحماية أهله، والحياة الإنسانية لابد فيها من التدافع الذي ينشط أجهزة الإيمان وتتحرك فيه قواه الداخلية إذا كانت فاترة عندما يشعر بالتحدي ويكون هذا سببًا في إمداده بحياة جديدة، وهذا من سنن الله الكونية التي يجب أن يخضع لها المؤمنون والكافرون.

الكفر يحاول أن يفرض نفسه فتنشط قوى الإيمان لكي تبقى فيبقى الإيمان بعد أن نمت قواه بضغط الكافرين عليه قال تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) {البقرة ٢٥١}، وهذا التدافع الحضاري جزء من تمكين الخير من أن تزداد صلابته في وجه الشر.

سُنَّة التسخير: تسخير الناس إلى طبقات من السنن التسخيرية فهناك مهندس وهناك عامل ولابد وأن يسخر المهندس العامل ويستحيل أن تقوم شبكة العلاقات الاجتماعية بدون هذا التفاوت وهذه الفوارق الفردية قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الـدُّنْيَا وَرَفَعْنَـا بَعْضَـهُمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِّيَتَّخِـذَ بَعْضُـهُم بَعْضًـا سُـخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) {الزخرف ٣٢}، والله سبحانه وتعالى سخر لنـا البحـر والأرض والشـمس ولفـت نظرنـا إلـى أهميـة اكتشـاف قـوانين التسخير الكونية التي توصلنا إلى التقدم العلمي وقد اكتشف الأوروبيون قانون التسخير فأحسنوا تسخير البر والبحر ... الخ.

ولابد من أن يأخذ الإيمان دوره كاملًا في الهداية إلى هذه السنن والتفاعـل الـذي يحدثـه الإيمـان بـين اسـتجابة السـماء لتحقيـق الشـهود الحضاري وربط نتائج ذلك بقضية الإيمان.

وقد ربط القرآن الكريم كثيرًا من النتائج المتحصلة بين من أعمل هذه السنن بالتقوى فقد ربط بين التقوى وما تؤدي إليه من بصيرة في النظر إلى الأمور والحكم عليها كالحق والباطل والصواب والخطأ.

التغيير كيف يكون ؟ التغيير المطلوب هو التغير الثقافي والنفسي الذي يؤدي إلى التغيير السياسي والتربية والدعوة والحكم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَومٍ سوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُم مِن دونِهِ مِن والٍ) {الرعد ١١}.

لقد حذرنا الرسول ﷺ من إتباع اليهود والنصارى ومع ذلك فقد انبهرنا بتفوقهم المادي وقلدناهم في كل شيء والعقاب الإلهي يظهر في نزع القيادة من أيدي المتدينين ووضعها في أيدي العلمانيين إن الآمال كبيرة في أن يعود المسلمون إلى القرآن الكريم ويتعاملون معه المعاملة الصحيحة ومع سننه التعامل السليم وبذلك يعود للمسلمين مجدهم

ويعودون لأداء وظيفتهم ويكونون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

مقومات الشخصية في الإسلام

ما المقصود بالشخصية ؟

يقصد بالشخصية الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها والتي تستطيع المشاركة العقلية والأخلاقية في المجتمع الذي تعيش فيه.

مقومات الشخصية: مقومات الشخصية في المجتمعات غير الإسلامية مقومات بشرية ولذلك فإنها قابلة للتغيير وفي النهاية فإن أعمال هذه المجتمعات لا تؤدي إلى الأهداف المقصودة وتكون كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

ولكن مقومات الشخصية في الإسلام ثابتة وقد وضعها الله سبحانه وتعالى ليستطيع المسلم تحقيق وظيفته في الحياة وتتلخص في:

أولًا: المحتوى الإيماني: فالإيمان الصحيح متى استقر في قلب المؤمن ظهرت آثاره في السلوك لأن العقيدة الإسلامية متى استقرت في القلب فإنها تتحرك لتحقق مدلولها في المجتمع عن طريق تحويله إلى عمل نافع طبقًا لما رسمه الإسلام ذلك لأن الإيمان بالله تعالى وعبادته المتصلة يحرران المسلم من العبودية والخضوع لأي قوى مادية بشرية كما يحررانه من كل العوائق الداخلية والخارجية ويجعلانه يسير في عمارة الأرض طبقًا

لمنهج الخالق سبحانه وتعالى معين له على أدائها متكفل برعايتها ضامنًا له الثواب سواء أصاب أم أخطأ ما دامت الوجهة كلها له.

ثانيًا: التفكير السليم: الإسلام يهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة عن طريق إقامة الحياة في الأرض على أساس من الحق والعدل ولذلك فإنه عمل على إصلاح القلب إقامة الحياة في الأرض على أساس من الحق والعدل ولذلك فإنه عمل على إصلاح القلب البشري ووجه الطاقة العقلية إلى التأمل في حكمة الله في الخلق وإلى حكمة التشريع الذي أنزله ليطبق في الأرض وقد وجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمع ويستخدم طاقتها الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم) {الرعد ١١}، كما وجه العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان وقال تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) {الملك ١٥}.

والمذهب التجريبي في أصله مذهب إسلامي وقد ساعد على تقدم المعرفة العلمية في الغرب لأن الإسلام وضع المنهج الصحيح للاستدلال العقلي، لقد طلب من عباده أن ينظروا وأن يفتكروا قال تعالى: (قُلِ انظُروا ماذا فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما تُغنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ عَن قَومٍ لا يُؤمِنونَ) {يونس ١٠١}، ولعل هذا هو السبب الذي جعل العلماء المسلمين ينطبع تفكيرهم بالدقة العلمية المتناهية التي أنشأت الغرب وجعلت عالمًا مثل جب يقول في كتابه "الاتجاهات الحديثة في الإسلام": (أعتقد أنه من المتفق عليه أن

الملاحظات الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية في الغرب مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى).

لقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء فقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) {المجادلة ١١}، وقال النبي ﷺ العلماء ورثة الأنبياء، كما حث القرآن الكريم العلماء على أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم فقال (وَما كانَ المُؤمِنونَ لِيَنفِروا كافَّةً فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِروا قَومَهُم إِذا رَجَعوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرونَ) {التوبة ١٢٢}.

والإسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم في الخير وقد وضع ذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي فطلب من المسلمين تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد تميز المسلمون بالدقة العلمية في أبحاثهم على الرغم من قلة الإمكانيات التي كانت معهم يقول بريفوليت في كتابة "بناء الإنسانية على أساس الحضارة العربية": (لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث، ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك فلم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي نراها في العالم الغربي).

ثالثًا: العمل الصالح: والعمل الصالح يكمن في جلب الخير النافع ومحاربة الشر الضار وهو عمل أخلاقي ناجح وعن طريقه تتربى الشخصية القوية القادرة على أداء وظيفتها في الحياة فيكون الاطمئنان النفسي في الدنيا والآخرة قال تعالى: (مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ) {النحل ٩٧}.

والعمل الصالح هو كل عمل يعمله الإنسان سواء أكان خاصًا به أم بالأسرة الصغيرة أو الكبيرة أو المجتمع الصغير أو الكبير أو بالكون كله ما فيه ومن فيه.

ويدخل في ميدان العمل الصالح المحافظة على الأخوة الإسلامية، وأساس هذه الأخوة الحب في الله والتناصح والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان والتسامح والتشاور والتكافل الاجتماعي والتكافل الاقتصادي فالمسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وينطبق عليهم قوله تعالى: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) {الفتح ٢٩}.

رابعًا: القوة: والقوة من مقومات الشخصية في الإسلام، ولكن مفهوم القوة في الإسلام يختلف عن مفهوم القوة في الجاهلية عن مفهومها في الحضارة الغربية، فالقوة في الإسلام معناها أن يلتزم المسلم بمنهج الإسلام قولًا وعاطفة وسلوكًا وأن ينتصر على وسوسة الشيطان وعلى رغبة النفس

وشهواتها إذا ما خالف تعاليم الإسلام وألا يكون المسلم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت بل عليه أن يحسن إذا أحسن الناس وأن يتجنب إساءتهم إذا أساءوا، ومن القوة في الإسلام الجهاد في سبيل الله في جميع الأزمان والأماكن والثبات في الجهاد بحيث يكون مثلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ {آل عمران ١٧٣}.

بهذه المقومات استطاع المسلمون أن ينشروا الإسلام وأن يدعوا إلى الله على بصيرة وعلى امتداد الزمان والمكان، ثم حدث ما حدث من ضعف في كثير من المجالات حتى طمع فيهم الأعداء ووضعوا الخطط للقضاء على الإسلام بالطرق العسكرية ثم بالطرق الفكرية وغير ذلك ونجحوا في ذلك إلى حد كبير.

الصحوة الإسلامية: وأخيرًا ظهرت الصحوة الإسلامية التي أرادت أن تعيد للإسلام مجده وللمسلمين شخصيتهم ترى كيف يكون ؟ إن ذلك لا يتم إلا بالمنهج الكامل المتكامل الذي ينبع من الكتاب والسنة ثم بالتطبيق المناسب على المسلمين أفراد وجماعات.

والمنهج يكون في تنشيط الدعوة إلى الله بالأقوال والدعوة بالأفعال والدعوة بإقامة المشروعات التي تخدم الأمة وتنفع الناس ولابد من الناس على التأليف بين القلوب وتجنب الانقسامات والنزعات والصبر على الطاعات والبعد عن المعاصي ذلك لأن أساس تربية الشخصية الإسلامية

الاستجابة لله ولرسوله وبذلك يدخل الإنسان الإسلام حيًا بالمعنى الكامل للحياة ولابد من ملاحظة أن أعداء الإسلام يخافون من الإسلام ويرصدون حركات الصحوة الإسلامية ويعملون على محاربتها بكل الوسائل الممكنة، يقول المستشرق غارونر: (إن القوة التي تكمن في الإسلام هى التي تخيف أوروبا)، ويقول أنطوان ناتنج في كتابه "الغرب": (منذ أن جمع محمد أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي بدأت خطوات الانتشار الإسلامي وعلى العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وعلينا مواجهتها عبر المتوسط).

وقد وضع الغربيون الخطط المختلفة لمواجهة هذه الصحوة، يقول مسئول في وزارة الخارجية الفرنسي عام ١٩٥٢م: (فلنعطي العالم الإسلامي ما يشاء ولنقوي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفًا وتحرر العملاق من قيود جهله ومن عهدة الشعور بعجزه فقد بوئنا بإخفاق خطير وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من طاقات إسلامية ضخمة خطرًا دائمًا ينتهي به الغرب وتنتهي معه وظيفته الحضارية.

ترى ما موقف المسلمين من ذلك ؟ هل يختارون جلد الذات في الانتقام من أنفسهم إن ذلك ليس من الإسلام في شيء والطريق السليم هو الالتزام بمنهج الإسلام التزامًا كاملًا والدعوة إلى الله على بصيرة والنقد والتوجيه والشورى وهو طريق مملوء بأشواك الصبر وآلام الأذى ولكنه أيضًا مملوء بالمحبة والأخوة والتعاون والتوكل على الله – لا التواكل – والسير على

منهج الإسلام وذلك طريق النجاح للمسلمين في صحوتهم وقيادتهم للبشرية مرة أخرى وإنقاذها مما هى فيه من كفر وطغيان وظلم وافتراء وبذلك يفوز المسلمون في الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم القائل: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)) {العصر ١-٣}.

دوافع السلوك في القرآن

لقد أقام الإسلام نظامًا فريدًا لتربية أبنائه على أساس يحفظ كيانهم ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم بحيث لا تدمر فيه طاقة من الطاقات بل تعمل كلها في انسجام تام بلا طغيان ولا ضعف كالفرقة الموسيقية المتكاملة المتلائمة التي تؤدي دورها على أكمل وجه.

وهذا النظام يجعل الغربيين ينظرون إليه بعين الإعجاب حتى أن عالِمًا كالدكتور "سيزل" عميد كلية الحقوق بجامعة "فينا" الأسبق؛ قال في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧م: (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها فإنه على أميته استطاع – قبل بضعة عشر قرنًا – أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيون أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألف عام).

ونحن لا نجد غرابة في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان، هو الذي أتى بهذا التشريع، وهو الذي دوافع السلوك الإنساني، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) {الملك ١٤}، ومن هنا

فقد جاء منهج التربية في الإسلام كاملًا شاملًا لكل الخصائص التي تتفق مع الإنسان في أطوار حياته.

وفي العصر الحديث ظهر علم النفس الذي أخذ يبحث عن الدوافع الإنسانية وأسبابها ونتائجها، والذي أخذ يحلل الإنسان وتصرفاته، ومن هنا فقد أراد الأستاذ الدكتور (محمد عثمان نجاتي) – وهو أستاذ متخصص في علم النفس – أن يلقي الأضواء "فقال: تنقسم دوافع السلوك في النفس البشرية إلى قسمين:

دوافع فسيولوجية: وهى الدوافع الفطرية التي تربط بحاجات البدن الوظيفية وهى دوافع أولية، ودوافع نفسية: وهى الدوافع التي تكتسب بالتعلم في أثناء التنشئة الاجتماعية للفرد وهى دوافع ثانوية.

ومن الدوافع الإنسانية:

دوافع التملك: وفي ذلك يقول القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَوَسوَسَ إِلَيهِ الشَّيطانُ قالَ يا آدَمُ هَل أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلدِ وَمُلكٍ لا يَبلى) {طه ١٢٠}.

ودوافع العدوان: وهى التي يحذر منها القرآن في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) {آل عمران ١١٨}.

ودوافع التنافس: وهى التي يدعوا إليها القرآن الكريم إذا ما كنت في سبيل الخير، في مثل قوله: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) {الحديد ٢١}.

ودافع التدين: وهى التي يدعو إليها القرآن الكريم في مثل قوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) {الروم ٣٠}.

وهناك دوافع لا شعورية وتظهر في فلتات اللسان.

والإسلام يطالب المسلمين بالسيطرة على الدوافع لا كَبْتَها، وهو يطلب منهم أن يأكلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا، وألا يتبعوا خطوات الشيطان لأنه لهم عدو مبين، ويطالبهم بالاستعفاف عن طريق النكاح فإن لم يجدوا ما يستطيعون به أن يتزوجوا فعليهم بالصوم فإنه له وقاء، ونهى عن الخلوة بين الرجل وبين المرأة، وعن الدخول في البيوت بغير استئذان، كما نهى النفس عن الهوى عن طريق ضبط الإنسان لأهوائه وشهواته فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

والله سبحانه وتعالى وعد المتقين بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله، وانحراف الدوافع يجعله يسيطر على الإنسان ومن ذلك الانحراف الجنسي في قوم لوط والحب

الشـديد للمـال والإسـراف فـي العـدوان وفـي التنـافس وفـي طلـب الراحـة والخمول والكسل.

والانفعالات تعين الإنسان على البناء، فانفعال الخوف يعين الإنسان علـى تجنـب الأخطـار، وانفعـال الغضـب يدفعـه إلـى الـدفاع عـن الـنفس وهكـذا، وهنـاك علاقـة وثيقـة بـين الـدوافع والانفعـالات؛ فانفعـال الخـوف يظهر في المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا، وهناك أنواع من الخوف مثل الخوف من الموت والخوف من الفقر والخوف من المرض.

والقرآن الكريم يعالج هذا كله ببيان أن الحياة الدنيا ما هى إلا متاع الغرور وأن الآخرة هى الدار الباقية وبأن الله تعالى تكفل بالرزق لكل من على ظهر الأرض.

الحب: وهناك دافع حب الذات الذي يجعل الإنسان يستكثر من الخير، وحب الناس الذي يطالب القرآن الكريم المسلمين به وذلك بأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، والحب الجنسي الذي طالب القرآن الكريم أن يكون للزوجات، والحب الأبوي الذي يتمثل في طلب نوح عليه السلام من ابنه أن يركب معه في السفينة لينجو من الغرق وحين رفض الابن وصعد إلى الجبل الذي ظن أنه سينقذه من الغرق، ونادى نوح ربه ﴿إِنَّ ابني مِن أَهلي﴾ {هود ٤٥}، فقال رب العزة: ﴿إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صالِحٍ﴾ {هود ٤٦}، وطلب منه ألا يسأله شيئًا في هذا الأمر.

وهناك حب الله تعالى الذي يقول فيه القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {آل عمران ٣١}.

الفرح: شعور الإنسان بعدم الاستحسان وعدم التقبل وقد بيَّن القرآن الكريم للمسلمين الذين يكرهون القتال أنه قد يكون فيه الخير لهم.

الغيرة: وتحدث الغيرة إذا شعر الشخص بأن محبوبه قد توجه انتباهه إلى شخص آخر، وقد تحدث بين الأخوة كما حدث بين إخوة يوسف.

الحسد: وهو تمني زوال نعمة الغير والعمل على زوالها، ومن ذلك غيرة ابن آدم الذي لم يتقبل الله قربانه فقال له: لأقتلنك، ثم قتله بعد ذلك، وكذلك ما حدث من أخوة يوسف بالتآمر عليه وإلقائه في الجب وذهابهم إلى أبيهم بدم كاذب حيث قالوا له: لقد أكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.

الحزن: ويحدث إذا فقد الإنسان شخصًا عزيزًا عليه أو شيئًا ذا قيمة أو حلت به كارثة أو فشل في تحقيق أمر هام وفي ذلك يقول الله تعالى عن موسى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ {القصص ١٣}.

الندم: الندم حالة انفعالية تنشأ عن شعور بالذنب ولوم النفس على فعله ومن ذلك ابن آدم الذي قتل أخاه ولم يعرف ماذا يفعل بجثته فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه فقال: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ {المائدة ٣١}.

الحياء: الحياء مركب من الخجل والخوف ويدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة، ومن ذلك قصة موسى مع ابنة شعيب التي جاءته تمشي على استيحاء وقالت: له إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.

الزهو: الزهو هو الإعجاب بالنفس والغرور والتعاظم والكبرياء وهو يؤدي إلى التعالي ويمثل هذا قول الله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ {المنافقون ٥}.

وهناك تغيرات بدنية معاصرة للانفعال ويوضح هذا القرآن الكريم في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ {الزخرف ١٧}.

وفي حالة الفرح والسرور يبدو الإنسان نشيطًا منتصب القامة مرفوع الرأس متسع الصدر، وفي حالة الخزي والشعور بالذنب والندم يبدو الإنسان ذليلًا مطأطئ الرأس منكمش الجسم، وفي حالة الخوف يبدو الخائف منتصب شعر الرأس، وفي أثناء الانفعال تتعطل عملية التفكير في الإنسان.

الصراع بين الدوافع:

إذا تعارضت بعض الدوافع مع بعضها الآخر فإن الإنسان يحس بحيرة وتردد وعجز عن اتخاذ قرار في أي اتجاه، وما جاء في قول الله تعالى: ﴿قُل أَنَدعو مِن دونِ اللَّهِ ما لا يَنفَعُنا وَلا يَضُرُّنا وَنُرَدُّ عَلى أَعقابِنا بَعدَ إِذ هَدانَا اللَّهُ كَالَّذِي استَهوَتهُ الشَّياطينُ فِي الأَرضِ حَيرانَ لَهُ أَصحابٌ

يَدعونَهُ إِلَى الهُدَى ائتِنا قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدى وَأُمِرنا لِنُسلِمَ لِرَبِّ العالَمينَ) {الأنعام ٧١}، والقرآن الكريم يعتني بالدوافع ويدعو إلى إشباعها في حدود الشريعة الإسلامية.

وهناك أساليب للسيطرة على الدوافع منها:

القمع: بمعنى الكف الإرادي لدافع ما أو رغبة ومقاومة إشباعها أو التعبير عنها في ظروف لا تسمح بإشباعها ويمكن إشباعها في ظروف أخرى.

الكبت: ومعناه: إنكار الرغبة واستقذارها أو الخوف منها ومحاولة إبعادها نهائيًا عن دائرة الوعي تخلصًا مما تسببه من شعور بالإثم أو القلق، بحيث ينتهي إلى كبتها في اللاشعور وتظل الرغبة في محاولة التعبير عن نفسها بطرق وحيل لاشعورية مما يسبب نشؤ كثير من الأعراض المختلفة لاضطراب السلوك.

والقرآن الكريم يدعو إلى تنظيم الإشباع والتوجيه السليم بحيث يسيطر الإنسان على دوافعه ويوجهها التوجيه السليم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) {البقرة ١٦٨-١٦٩}، ويقول: (يا بَني آدَمَ خُذوا زينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ وَكُلوا وَاشرَبوا وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ (٣١) قُل مَن حَرَّمَ زينَةَ اللَّهِ الَّتي أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزقِ قُل هِيَ لِلَّذينَ آمَنوا فِي

الحَيــاةِ الــدُّنيا خالِصَــةً يَــومَ القِيامَــةِ كَــذلِكَ نُفَصِّــلُ الآيــاتِ لِقَــومٍ يَعلَمونَ) {الأعراف ٣١-٣٢}.

وقد طلب القرآن الكريم السيطرة على الدافع الجنسي فقال: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) {النور ٣٠-٣١}، وقد نهى القرآن الكريم عن خلوا الرجل بالمرأة لأن فيه إثارة للدافع الجنسي.

كما نهى عن الإسراف في الطعام فقال تعالى: (وَكُلوا وَاشرَبوا وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ) {الأعراف ٣١}، كما دعا إلى ضبط دافع التملك في مثل قوله تعالى: (وَالَّذينَ يَكنِزونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقونَها في سَبيلِ اللَّهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أَليمٍ (٣٤) يَومَ يُحمى عَلَيها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكوى بِها جِباهُهُم وَجُنوبُهُم وَظُهورُهُم هذا ما كَنَزتُم لِأَنفُسِكُم فَذوقوا ما كُنتُم تَكنِزونَ) {التوبة ٣٤-٣٥}، وطلب من المؤمنين الإنفاق في سبيل الله فقال تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) {الحديد ٧}، وطلب نهي النفس عن الهوى وضبط الإنسان لدوافعه وكفه لشهواته وسيطرته عليها، ودعا إلى التسامي بالتقوى، فتقوى الله تعالى أقوى، وفي ذلك يقول الله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) {الحديد ٢٠}.

العلاج النفسي في القرآن الكريم:

يعني الإسلام بتربية المسلم التربية المتكاملة التي تجعله قادرًا على أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة ويبدأ صلته بالله تعالى قوية والشعائر كلها تقوي هذه الصلة وتجعل المسلم قوي الإرادة قوي التفكير قادرًا على تخطي صعوبات الحياة وقد طلب القرآن الكريم من المسلم أن يستعين بالصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾{البقرة ٤٥}، ويبين للمسلم أن ما يحدث في هذه الحياة من ابتلاءات ويسميها الناس مصائب ما هى إلا ابتلاء من الله تعالى ليجعلهم قادرين على الصمود في هذه الحياة وبشر الصابرين بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ورحمة ورضوان من الله تعالى فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ {البقرة ١٥٥-١٥٧}، وبين للمسلم أن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا.

والإيمان بالله تعالى قوة خارقة تمد المسلم المتدين بطاقة روحية ضخمة تعينه على تحمل مشتقات الحياة وعلى تجنب القلق المرضي الذي يعوق الإنسان عن السير في هذه الحياة سيرًا يمكنه من أداء وظيفته.

وجيمس عالم النفس الأمريكي يقول: (الإيمان من القوة التي لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش وتبعده عن العجز الذي لا يجعله

قادرًا على العمل السليم)، وفي ذلك يقول الله تعالى: (الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ) {الرعد ٢٨}.

وأسلوب القرآن الكريم في علاج النفس البشرية يقوم على تعديل الأفكار وتغيير الاتجاهات والسلوك يقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم) {الرعد ١١}، ويربي المسلم على التقوى التي تجعله يتحكم في دوافعه وانفعالاته ويسسيطر على ميوله وأهوائه يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) {الأحزاب ٧٠-٧١}.

والأمراض النفسية تنشأ عن عجز الإنسان عن حل صراعاته والصلاة لها أثرها الواضح في حل الصراعات النفسية للمسلم لأنه اتصال بالله تعالى خالقه وتجعله يحس بأن الله لا يريد له إلا الخير وأنه لو اطلع على الخير لاختار الواقع يقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) {البقرة ٢١٦}.

وصلاة الجمعة تمد المسلم بالمعلومات الدينية والإرشادات العلاجية وتجعل المسلم ينظر إلى نفسه من الداخل وإلى مشكلاته نظرة موضوعية وتجعله يستعين بخالقه سبحانه وتعالى في جعله يحس بالرضا والقناعة ويطلب معونته في حل مشكلاته بالأسلوب الذي يريحه وتقوية إرادته ليتغلب على صعوبات الحياة المختلفة.

وعلى المسلم أن يفكر في صلته بالله سبحانه وتعالى وأن يحاسب نفسه على كل تقصير وأن يتوب إلى الله من كل ذنوبه وقد فتح الله سبحانه وتعالى له باب التوبة على مصراعيه فقال: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) {الزمر ٥٣}.

وهكذا نجد أن علم النفس الحديث يعرف بعض جوانب النفس البشرية وذلك بعد أربعة عشر قرنًا من نزول القرآن الكريم ويعالج المرضى معالجة معالجة فيها الكثير مما جاء في القرآن الكريم.

والقرآن الكريم كتاب الله الكريم من الخالق العظيم سبحانه وتعالى وهو خالق البشر وهو أعلم بما يصلح لهم وما يصلحهم وعلى المسلمين أن يعتزوا بدينهم وبقرآنهم وأن يحملوا رايته عالية خفاقة لينشروه بين أرجاء هذا العالم الحائر الذي يسير إلى طريق الهاوية لأنه لا ينظر إلا إلى المادة ويرى أنها كل شيء ويترك الجانب الروحي وهو أهم جوانب الإنسان في هذه الحياة فبذلك ينقذون أنفسهم وينقذون هذا العالم التائه في ظلمات الحياة وبذلك يرضون عن أنفسهم ويرضى الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم القائل: (إِنَّ هـذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا) {الإسراء٩}.

الهندسة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية

الهندسة الاجتماعية: تعبير يقصد به النظم والمؤسسات الاجتماعية التي تنشأ أو تعدل طبقًا لخطة مرسومة الغرض منها تحقيق أهداف المجتمع.

والبشر هم الذين يقومون بهذا العمل في الحضارات البشرية يقول بوير: (مهمة المهندس الاجتماعي الحركي تصميم النظم الاجتماعية الجديدة وإعادة تركيب ما هو موجود فعلًا، وهى وسائل تحقق أهدافًا معينة ويحكم على كل منها على حدة تبعًا لملاءمتها وقدرتها على تحقيق الأهداف.

والهندسة الاجتماعية البشرية قد تخطط للديمقراطية أو الديكتاتورية أو الشيوعية أو غيرها، ولذلك فإننا نلاحظ اهتزاز الكثير من اللافتات والأيدلوجيات كأسلوب للبناء الاجتماعي السليم ولحل المشكلات المختلفة، وقد أصبح من الضروري البحث عن سبل أخرى أكثر منهجية وواقعية.

والهندسة الاجتماعية في الإسلام: الذي وضعها هو خالق البشر وهو أدرى بما يصلح لهم وما يصلحهم وقد تميزت بالنزعة الإنسانية في أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله تعالى وأمام القانون المستمد من الشريعة الإسلامية، ولا يوجد في الهندسة الاجتماعية الإسلامية استعلاء عِرقْ على عِرقْ، أو جماعة على جماعة لأن الأخلاق هى جوهر الهندسة الاجتماعية في الإسلام والمسلم يسير عليها في عواطفه وفي سلوكه والمجتمع يسير عليها في اتجاهاته وفي سلوكياته.

وتشمل الهندسة الاجتماعية: تنظيم التعامل بين الفرد والفرد وبين الفرد والمجتمع وبين المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى بل وبين المجتمع الإسلامي والكون كله وما فيه، وهى تهدف في كل ذلك إلى

التوفيق بين كل من يعيش على ظهر الأرض فالكل متماسك يتجه في اتجاه واحد هو تحقيق التوازن الكامل بين مصالح الأفراد وبين مصالح كل المجتمعات على مستوى الإنسانية العالمية، وتشمل الهندسة الاجتماعية أيضًا وظيفة الطبقة الحاكمة ودور الدولة في بناء الحضارة وآثار التعليم الخلقية ودعائمها ونظم التعليم الاقتصادية وأهمية العلم في المجتمع لأداء دوره في الحياة.

الطبقة الحاكمة: جاء الإسلام في فترة كان الناس يرون فيها أن الطبقة الحاكمة في الدولة تتميز عن سائر طبقات المجتمع لسبب أو لأخر ومن هنا فإن لها حقوقًا على الناس ولا حقوق لأحد عليها ولذلك فقد صحح الإسلام الفكرة السائدة عن حقيقة الارتباط بين الأفراد بعضهم مع بعض وبينهم وبين الدولة وقد وضع النظم الأخلاقية والاقتصادية والسياسية في تعاليم كلية لتكون دستورًا للبشر إلى أن تقوم الساعة، وهى تعاليم قابلة للتطبيق التفصيلي على ضوء مقتضيات كل عصر تجتازه البشرية في تطورها المستمر نحو الكمال الذي أراده الله تعالى للإنسان.

فالحاكم عليه أن يحكم الناس بالعدل على أساس شريعة الله تعالى وبذلك تقوم مصلحة الأمة على أساس من العدالة التامة وفي ذلك يقول أبو بكر الصديق: (القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له)، وإذا كان هذا من حقوق المحكومين على الحاكم فإن من حقه عليهم أن يطيعوه ما دام يقيم فيهم بكتاب الله تعالى ولا يهمه بعد ذلك إن كان الحاكم ذا شرف أو ذا مال يقول الرسول

ﷺ((اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام كتاب الله)) "أخرجه البخاري".

ويلزم الإسلام ولي الأمر بالشورى في كل الأمور قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ {آل عمران ١٥٩}، وبذلك تقوم مصلحة الأمة على هذا الأساس السليم، وبذلك لا يقع المجتمع في إطار قصور العقل عن الإتيان بأصول ومبادئ تصلح لسائر الأزمنة والأمكنة وحتى لا تقع في استبداد المخادعين ولا في تحليل مرضي العقول بجنون العظمة وسيطرتهم على الرعايا والشعائر على السواء وحتى لا تقع في تمويه الديمقراطية أيضًا.

الدولة: إن الفكرة الغربية عن الدولة عبارة عن أرض وشعب وحكومة وهذا التصور مادي بحت، ذلك لأن الفكر السياسي الغربي يرى أن الأديان السماوية ليس لها دور في أمور الدولة وشؤون الحكم، ولكن الإسلام – وهو خاتم الأديان – وهو من الله سبحانه وتعالى البصير بعباده وبما يفضي إليه تطور الإنسانية، استكمل هداية الإنسانية كلها، وقد وضع الأصول كلها لكل ذلك، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفصيل والتفريغ على ضوء تطورات كل زمان ومكان في نطاق الأصول العامة.

والإسلام يقر الهيكل المادي للدولة – كما يصوره الفكر الغربي – ولكنه يحيط هذا الهيكل بإطار من روحانيته وذلك يتمثل في الأصول العامة التي فرضت تعاليم كلية وخلقية واقتصادية وسياسية واجتماعية وغير ذلك.

الحضارة الإسلامية: وللحضارة الإسلامية جانبان: جانب مادي، وجانب روحي وهما متلازمان فيها.

والجانب المادي: تقدم فكر وعلم وتجربة وصناعة، والجانب الروحي: تقدم وجدان وخلق وسلوك.

والجانب المادي دائمًا يلفت النظر أكثر لأنه واضح ويملك التجريب والتدريب، إلا أن ضرره إذا سار وحده أكثر من نفعه، ودعوة الإسلام لذلك تقوم على العناية بالجانب المادي والجانب الروحي والتخلي عن الأنانية وقيام الروابط الإنسانية على أساس من القيم الإسلامية وحدها.

والمجتمع الإسلامي هو مجتمع قيم إنسانية عليا ومن هنا فإن المسلم يتجه إلى الله تعالى وحده يطلب من العون والآية الكريمة: (فَفِرُّواْ إِلَى اللهِ) {الذاريات ٥٠}، توحي بالأثقال التي تشد النفس البشرية إلى النواحي المادية المادية ومن ذلك مطالب العيش والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرية وما إلى ذلك الأمر الذي جعل الآية الكريمة تطلب من المسلمين الفرار إلى الله تعالى من هذه القيود.

والإسلام يرى أن التعاليم الخلقية والاقتصادية والسياسية في مرتبة الفرائض الإلزامية ولا يمكن الكشف عن فكرة الدولة في اللإسلام إلا بضم هذه الفرائض الثلاثة من تعاليمه جنبًا إلى جنب لأنها متعاونة متساندة كل منها يتأثر ويؤثر في الفضائل الأخرى وبغير التعاليم الخلقية يختل النظام الاقتصادي فيما يدعو إليه من تعاون وتكامل بين المواطنين كما يتسرب

الفساد إلى أجهزة النظام السياسي والحكومي وبغير التعاليم السياسية يتعذر توجيه الأمم في اتجاه واحد نحو أهداف مشتركة كما يتعذر إنفاذ ما تقضي به التعاليم الخلقية والتعاليم الاقتصادية وهذا التساند في الفضائل الثلاثة هو ميزة النظام الإسلامي على غيره من النظم الوضعية المعاصرة.

التعاليم الخلقية: فتعاليم الإسلام الخلقية دعامتها الأولى الإيمان بالله تعالى وحده وبذلك يتحرر العقل الإسلامي من جميع قيود العبودية وتحرر النفس الإنسانية من الحيرة والضلال في مسالك الحياة لأن العبودية
وتحرر النفس الإنسانية من الحيرة والضلال في مسالك الحياة لأن العبودية
لله تستلزم الاهتداء بهديه واجتناب نواهيه وامتثال أوامره، والمسلم الذي يتحرر على هذا النحو ترتفع كرامته الذاتية على أمتن أساس فيصير خليفة الله تعالى في الأرض وهذا التوجيه الوجداني هو ميزة الإسلام ومع ذلك فإن الإسلام فرض الشعائر لتكون تدريبًا دائمًا على دعم هذه الفضائل في نفس المسلم وكلها أشياء تتحدد للمسلم باتصاله بالله تعالى خالق الكون.

والدعامة الثانية الإيمان برسالة محمد ﷺ وهى أتم الرسالات لهداية البشر جميعًا إلى أن تقوم الساعة وهذا الإيمان يحس المسلم على السعي محتذيًا بالمثل الرفيعة التي خلفها الرسول ﷺللأجيال ومهتديًا بالدروس الخالدة التي لقنها للإنسانية خاتم الرسل عليهم السلام.

والدعامة الثلاثة الإيمان بالبعث والحساب وهذا الإيمان يوقن المسلم بأن الدنيا ما هى إلا مزرعة للآخرة والمسلم مأمور بأن يعمل للدنيا وكأنه يعيش أبدًا وأن يعمل لخير نفسه ولخير المجتمع ولخير الدعوة،

ومأمور أيضًا بأن يعمل للآخرة وكأنه يموت غدًا فيتورع عن الشر والإثم ويعمل الخير ويظل يذكر موقف الحساب من نشاطه اليومي أمام ربه في يوم الحساب.

فالإيمان بالله تعالى وبرسوله وبالحساب في الآخرة هى مواطن الإيمان التي بنيت عليها أخلاقيات الإسلام في كل أوضاعها وامتداداتها وهى التي أوجدت المسلم المثالي في صدر الإسلام وفي غيرها وهى التي تستند إليها جميع تنظيمات الإسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولذلك كان نجاحها العظيم في الماضي وفي كل وقت تطبق فيها بالطريقة التي يقرها الإسلام.

ومنهج الإسلام في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى إعادة للبناء السليم طبقًا لأهداف الإسلام مع استمرار الدافع الشعوري الأول في كل حركة حتى تبقى متصلة بالإيمان.

التعاليم الاقتصادية: والإسلام في تعاليمه الاقتصادية قد جعل من كل مجتمع إسلامي بيئة تعاونية مفروض عليها أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادي متكافلة على أساس نظرة الإسلام إلى العمل والمال والإسلام يرى أن المال كله مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه والانتفاع به طبقًا لتعاليم الله صاحب المال الأصيل ولذلك يجب على المسلم أن ينهض ويحسن القيام عليه.

والتكاليف إما ايجابية وإما سلبية، فالإيجابية تشمل فريضة الزكاة وهى محددة، كما تشمل الإنفاق في سبيل الله تعالى وهى تمتد إلى كل إنفاق يفيد المجتمع كما تشمل استثمار المالك لماله إذا كان هذا المال من مصادر الإنتاج حتى يثمر في تنمية الثروة القومية فإذا لم يفعل المالك للمال ذلك جز لجماعة أن تسترد منه هذا المال، وأما التكاليف السلبية فهى أن يكف المالك للمال يده عن إلحاق الضر بمصلحة الجماعة عن طريق الاحتكار وغيره أو استخدام الربا الذي اعترف الاقتصاد الغربي أخيرًا بمساوئه الخطيرة كما حرم الإسلام الإسراف والتقتير على السواء والإسلام يقدر العمل ويدعو إلى الإتقان في ظل رقابة إلهية توجه نشاط الفرد إلى نفعه وإلى نفع المجتمع علة السواء والاضطلاع يؤدي إلى نتائج تميز المجتمع الإسلامي عن سائر المجتمعات المعاصرة وتيسر مهمة الدولة في بلوغ أغراضها.

والنظام الاقتصادي في الإسلام لا يمنع قيام الملكية الفردية ولكن المال أساسًا هو مال الله والإنسان وكيل عنه يستثمره في الأبواب التي أباحها كما أنه ينفقها بالأسلوب الذي رسمه وهو يهتم بالفقير ولكنه يحول أساسًا دون أسباب الفقر فإذا ما وجدت عالجها بالأساليب المختلفة فالدولة عليها أن توفر العمل لمن كان قادرًا وإلا فإن كان عاجزًا رعته أو شيخًا ساعدته أو مريضًا عالجته فقد اعترف بعض الغربيين بتفوق النظام الإسلامي في هذا الميدان يقول جب: (مازال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتقابلين في العالم فهو يوائم بين الاشتراكية الغربية وشيوعية روسيا فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق

الذي أصبح من مميزات أوروبا في الوقت الحالي والذي هو من مميزات روسيا أيضًا).

والإسلام يرى ملكية منفعة المال بغير قيد إلا القيام بتكاليف هذه الملكية من إيجابية وسلبية وصار لزامًا على كل فرد في المجتمع الإسلامي أن ينصح وأن يغير المنكر بأية وسيلة وللشورى أثرها الإلزامي في كل ما يقام من نظم حكومية وأصبح للمجتمع بمقتضى هذا التفويض حق النيابة عن صاحب السيادة وهو الله تعالى وحده.

والمسلم الذي يذعن لأمر التشريع الذي تصدره الهيئة التي تولت زمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يذعن لأمر المجتمع الذي هو لبنة من لبناته ويذعن بطريقة غير مباشرة لأوامر الله تعالى وفي ذلك ضمان وجداني يعزز ضمان القوة الحكومية في نفاذ التشريع الإسلامي في أقل مشقة وأقل إكراه حكومي.

فالسيادة في الإسلام لله تعالى وحده لا لرئيس من البشر وإن زعم بعض الغربيين ذلك والله سبحانه وتعالى أنزل وحيه على نبيه وأمره باستشارة المسلمين في شؤون الدنيا التي يحرص كل الحرص على إسعاد البشر فيها لأنها مزرعة للآخرة وهو بهذا يوازن بين القوة المادية والقوة الروحية في الإسلام.

وتنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تركه الإسلام إلى جهود العقل البشري يمضي سياحتها ليسير مع احتياجات الزمان والمكان على

ضوء المبادئ العامة التي يستخرجها العقل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

والإسلام امتاز بعنايته البالغة بتنمية العقل الإنساني وتدريبه وحتى العقائد وهى أمور لا تدركها الأبصار لم يفرضها الإسلام فرضًا جامدًا، بل إنه عمل على إثباتها عن طريق الاستدلال العقلي فحفل القرآن الكريم بمئات الآيات التي كلفت للعقل البشري إثبات هذه الحقائق غير المنظورة.

العلم: وفي تنمية العقل الإنساني حث الإسلام المسلم على طلب العلم وجعله فريضة من أجل الفرائض التي يتقرب بها المسلم إلى الله وقد مد آفاق العلم إلى كل شيء في الوجود ففتح للإنسان مغاليق الكون لينفذ إليها ويطلع على قدرة الخالق الذي سخر له ما في السماوات والأرض فيزداد إيمانًا بالله وقربًا منه وقد مدح المسلم الذي يعلم وميز آدم على الملائكة بأنه يعلم مالا يعلمون.

وبهذه الهندسة الاجتماعية الإسلامية يمكن لبنيان الدولة الإسلامية أن يقوم شامخًا وبذلك يستطيع المسلمون أن يقوموا بوظيفتهم في عمارة الكون وفي إخراج الناس من الظلمات إلى النور وبذلك يسعدون في الدنيا وينالون رضوان الله في الدنيا والآخرة.

سكينة القلب وأثرها في الفرد والمجتمع

سكينة القلب نعمة كبرى من نعم الله تعالى وهى ليست كلمة تقال وإنما هى إحساس عميق يقي الإنسان كل المتاعب النفسية فيحس بالأمن والهدوء والراحة والاطمئنان.

وسكينة القلب حاجة أساسية من حاجات الإنسان في هذه الحياة وبدونها لا يستطيع أن يحس بشيء من الأمن والاطمئنان وبذلك لا يستطيع أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة.

ومصدر سكينة القلب الإيمان الصادق العميق الذي يجعل الإنسان متصلًا دائمًا بخالقه فهو هدي إلى فطرته التي فطره الله عليها وبذلك يعيش المسلم في سلام تام مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) {الروم ٣٠}.

فالدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي تتبع الشهوات بغير ضابطٍ فالله سبحانه وتعالى خلق القلب البشري وأنزل الإسلام ليحكمه ويصرفه ويقومه من الانحراف، ذلك لأن النفوس إذا انحرفت عن الفطرة لم يردها إليها هذا الدين المتناسق مع الفطرة (فطرة البشر وفطرة الوجود).

المؤمن يعرف غايته ويعرف مصيره وهو لم يخلق عبثًا ولم يترك سدى؛ بل إنه خلق لأداء وظيفته في هذه الحياة وهى عبادة الله وعمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

والكون الذي يحيط بالإنسان ليس غريبًا عنه بل إن الله تعالى خلقه وسخره للإنسان حتى يستطيع أن يسير في الكون ويكتشف ما يمكنه أن يكتشف من أسراره ليعينه ذلك على أداء وظيفته يقول الله سبحانه وتعالى: (وَالأَنعامَ خَلَقَها لَكُم فيها دِفءٌ وَمَنافِعُ وَمِنها تَأكُلونَ ﴿٥﴾ وَلَكُم فيها جَمالٌ حينَ

تُريحونَ وَحينَ تَسرَحونَ (٦) وَتَحمِلُ أَثقالَكُم إِلى بَلَدٍ لَم تَكونوا بالِغيهِ إِلّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُم لَرَءوفٌ رَحيمٌ) {النحل ٥-٧}، كما يقول سبحانه وتعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمرِهِ) {النحل ١٢}، كما يقول أيضًا: (وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ البَحرَ لِتَأكُلوا مِنهُ لَحمًا طَرِيًّا وَتَستَخرِجوا مِنهُ حِليَةً تَلبَسونَها وَتَرَى الفُلكَ مَواخِرَ فيهِ وَلِتَبتَغوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرونَ) {النحل ١٤}.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن سكينة النفس وتبين إكرام الله تعالى لبعض خلقه المؤمنين به القريبين منه الذين أكرمهم بتخليصهم من الهم والغم الذي ملأ قلوبهم لقد ذكروا الله تعالى واستجابوا لأوامره فأنقذهم مما هم فيه يقول سبحانه وتعالى: (الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ) {الرعد ٢٨}، فالقلوب المطمئنة تطمئن بإحساسها بالصلة بالله تعالى خالقها والأنس بجواره والأمن في جانبه نعم إنها تطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل شر إلا بما يشاء الله تعالى مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة فالله سبحانه وتعالى هو العروة الوثقى التي يرتبط بها من أحب من خلقه ومن ارتبط بها أحس بسكينة القلب وراحة الفؤاد واطمئنان النفس وبذلك يعيش في أمن وهدوء واستقرار وهذه أمنية كل إنسان في الحياة.

أم موسى عليه السلام: ولد موسى عليه السلام في فترة حرجة من فترات بني إسرائيل إذ أن فرعون أصدر أمره بقتل كل مولود ذكر منهم فلما ولد موسى

تحيرت أمه ماذا تفعل إزاء ما سيحدث لابنها ولكن الله تعالى أوحى إليها أن أرضعي طفلك قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ {القصص ٧}، وقد استمعت أم موسى إلى النداء الإلهي وألقت بطفلها في الماء ولكن قلب الأم لا يمكن أن يهدأ بل لقد بدأت تفكر أين هو الآن ؟ وماذا فعلت به الرياح ؟ وكيف طلبت له السلامة في المياه ووسط الأمواج ؟ وكيف استسلمت لهذا الهاتف ؟ والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {القصص ١٠}، نعم لقد كان فؤاد أم موسى فارغًا لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصرف وكأنها تقول لنفسها لقد أضعت طفلي أنا ألقيت به في اليم اتباعًا لهاتف غريب لولا أن ربط الله تعالى على قلبها وشد عليه وثبته لتكون من المؤمنين بوعد الله تعالى الصابرين على ابتلائه السائرين على هداه.

غزوة بدر: وفي غزوة كان المسلمون قلة وكانوا غير مستعدين للقتال لأنهم خرجوا لأخذ العير وكان الكفار كثرة وهم مستعدون للقتال، وفزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة غير مستعدة في مواجهة خطر عظيم لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدة، فإذا بالنعاس يغشاهم ثم يصحون منه والسكينة تغمر قلوبهم وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذ تَستَغيثونَ رَبَّكُم فَاستَجابَ لَكُم أَنّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُردِفينَ (١٢) وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلّا بُشرى وَلِتَطمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكُم وَمَا النَّصرُ إِلّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ

حَكيمٌ) {الأنفال ٩-١٠}، ويكرمهم الله تعالى بالنعاس الذي يأتيهم في هذه الفترة الحرجة ثم ينزل عليهم من السماء مطرًا ليطهرهم به ويذهب عنهم رجس الشيطان وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام، يقول الله سبحانه وتعالى: (إِذ يُغَشّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذهِبَ عَنكُم رِجزَ الشَّيطانِ وَلِيَربِطَ عَلى قُلوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدامَ) {الأنفال ١١}، ثم إن الله تعالى يوحي بعد ذلك إلى الملائكة أنه معهم وأن مهمتهم أن يثبتوا الذين أمنوا وسيلقى في قلوب الذين كفروا الرعب.

وهكذا يكون فضل الله تعالى على المؤمنين في جعل قلوبهم ساكنة هادئة مطمئنة، ثم يكون لهم النصر على أعدائهم في الدنيا وفي الآخرة وذلك فضل من الله ورضوان.

تجربة: يقول أحد العلماء في تفسير آيات سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر وعن أثر النعاس في قلوب الصحابة ﷺ: (لقد كنت أمر على هذه الآيات وأقرأ أخبار هذا النعاس فأدركه كحادث وقع يعلم الله تعالى سره ويحكي لنا خبره، ثم إذا بي أقع في شدة وتمر على لحظات من الضيق المكتوم والتوجس والقلق في ساعة غروب ثم تدركني سنة من النوم لا تتعدى بضع دقائق وأصبح إنسانًا جديدًا غير الذي كان، إنسانًا ساكن النفس مطمئن القلب مستغرقًا في الطمأنينة الواقعة العميقة كيف تم هذا ؟ كيف حدث هذا التحول المفاجئ ؟ لست أدري .. ولكني بعدها أصبحت أدرك قصة بدر أدركها في هذه المرة بكياني كله لا بعقلي واستشعرها حية

في نفسي لا مجرد تصور، وأرى فيها يد الله تعالى وهى تعمل عملها الخفي المباشر ويطمئن قلبي.

صلح الحديبية: يقول الله سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) {الفتح ٤}، لقد نزلت هذه الآية الكريمة عقب صلح الحديبية، وهى توضح نعمة الله تعالى على المؤمنين في هذا الموقف الصعب، ذلك لأن قلوب المؤمنين في هذه الفترة كانت تجيش بمشاعر شتى وتنفعل بانفعالات متنوعة، لقد كان الصحابة ﷺ يتطلعون إلى دخول المسجد الحرام ولو كان الأمر يقتضي مواجهة قريش وقتالهم، ولكن النبي ﷺآثر الموادعة وعقد المعاهدة وقد ضاق المسلمون صدرا بعد ذلك لأن مشركي قريش رفضوا كتابة كلمة "الرحمن الرحيم" كما رفضوا أن يصفوا النبي ﷺ بصفة النبوة إلى جانب الشروط الأخرى التي لم يتحملوها مثل: "أن من جاء من قريش لم يردوه ومن جاء من قريش إلى النبي ﷺ يردونه"، لقد كان حماسهم للقاء المشركين بالغًا فلما وقعت المعاهدة على هذا النحو ضاقوا به صدرا ولم يطيقوا أن ينحروا الهدي مع أن النبي ﷺ أمرهم بذلك وما كانوا يتأخرون عن تنفيذ أمر الرسول ﷺ إلا بعد أن رأوه يذبح الهدي كما أشارت بذلك السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ففعلوا مثله.

نعم لقد أنعم الله عليهم بالسكينة .. سكينة القلب التي تجعل المسلم يسير سيرًا طبيعيًا في هدوء يعرف طريقه السليم ويحسن تصرفاته،

أما الإنسان الذي يصيبه القلق والهم والغم فإنه لا يستطيع أن يتصرف تصرفًا سليمًا ولا أن يفكر تفكيرًا معقولًا.

وسكينة القلب كما يقرر علم النفس الحديث فيها الوقاية من العديد من الأمراض الجسمية إلى درجة جعلت الدكتور الكسيس كاريل يقول في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): "إن القلق والهموم تحدث تغيرات عضوية وأمراضًا حقيقية وهى تضر بالصحة ضررًا بالغًا، وأن رجال الأعمال الذين لا يعرفون كيف يقون أنفسهم من الهموم يموتون في شرخ الشباب بل إن المعالجين القدامي كانوا يعتقدون أن القلق يمهد لنمو السرطان"، ثم يقول: "بيد أن البسطاء الذين يمكنهم أن يحسوا الله بنفس السهولة التي يحسون بها حرارة الشمس أو وجود صديق في مأمن من ذلك كله"، ثم يقول: "إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا التوتر العصبي وأن يشفيا من هذه الأمراض".

ونلاحظ أن الأمريكيين لديهم غرام بإجراء التجارب المختلفة على الحيوانات وذلك ليصلوا إلى مؤشرات تساعدهم على معرفة الإنسان، وأسباب مرضه وطرق العلاج منها إلى جانب الوقاية منها، وعند إجرائهم لبعض التجارب على قلوب القطط والكلاب لاحظوا: (أن كولسترول الدم زاد بنسبة ٣٥% خلال نصف ساعة عند إثارة الجهاز العصبي عندها، والكولسترول أحد دهنيات الدم ومن أهم العوامل التي تسبب تصلب الشرايين وبالتالي تعرض الأعضاء الحيوية في الجسم لمضاعفات هذا المرض مثل: "جلطات الدم والمخ" كما لاحظ أطباء الصحة النفسية في

أمريكا زيادة سرعة تجلط الدم في المحاسبين في البنوك الأمريكية أثناء تعرضهم للإرهاق النفسي والجسمي خلال فترات الضغط العملي في إعداد ميزانية آخر العام المالي وهذا يعني زيادة لزوجة الدم وبطء سريانه مما يعرضه لحدوث الجلطات داخل الأوعية الدموية.

وفي بحث أجرى على ضباط وجنود الجيش الأمريكي في أثناء حرب فيتنام وجد أن نسبة الكولسترول ودهنيات الدم قد ارتفعت كثيرًا عندهم أثناء الغارات التي كان الثوار يقومون بها وقد أدى ذلك إلى الإصابة بجلطات الدم والذبحة الصدرية بين هؤلاء الضباط مع أن أعمارهم تقل بحوالي ٢٥ سنة عما يحدث من ضباط وجنود الجيش الذين لم يتعرضوا لهذه الحرب.

وهكذا ندرك أن سكينة القلب نعمة من نعم الله تعالى على المؤمنين الذين يتصلون به دائمًا يرجون رحمته ويخافون عذابه ويعملون على تحقيق وظيفتهم في هذه الحياة.

إن شعور الإنسان بالرضا من أهم أسباب السكينة النفسية التي هى سر السعادة في هذه الحياة وهذا أمل كل إنسان على ظهر الأرض.

الباب الثاني

خصائص الحضارة في الإسلام

التفكير السليم

كيف يرى المسلمون اليوم النوائب المحيطة بهم ؟ المسلمون اليوم يتحدثون دائمًا عن المصائب التي تحدث لهم وتهدد كيانهم بأنها عبارة عن مؤامرات ضد المسلمين وإذا سأل سائل ومن الذي يقوم بهذه المؤامرات ؟ كانت الإجابة البيت الأبيض أو البيت الأحمر أو غير ذلك أو عملاء، وقلما نجد من يقول إن هذه المصائب من أمر الله تعالى، وهذه الفكرة أضلت الجماعات الإسلامية حيث اعتبروا أن ما يحدث لهم ليس أمرًا إلهيًا يؤدبهم الله تعالى به مجرد حدث من الأحداث الإنسانية العادية، ولكن الحقيقة أن التاريخ يعيد نفسه لأن الخطيئة التي اقترفها ابن نوح عليه السلام في قصة الطوفان يقترفها المسلمون في هذا الزمان، ولو أن المسلمين اعتبروا هذا الوضع القاسي المرير الذي يعيشونه على امتداد الدنيا بأجمعها أمرًا إلهيًا لرجعوا إلى الله تعالى ولأنابوا ولنشأت فيهم فكرة إصلاح النفس وتزكية القلب وتنمية العقل، ولأصبحت همتهم موجهة إلى إصلاح تعاملهم مع الله تعالى على ضوء منهج الإسلام ولكنهم اعتبروه تآمرًا إنسانيًا ودسيسة من الدسائس وبذلك ثارت ثائرتهم ضد الأمم الأخرى وتولدت فيهم عوامل الثأر والحقد والنقمة، وهذه حالة المسلمين في العالم اليوم.

إن الإنسان يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قادر وبأن قدرته مطلقة، فإذا حسب أن النكبة التي ألمت به إنما هى من عند الله تعالى بسبب تقصيره في حق الله تعالى وفي بعده عن منهج الإسلام الذي جاء به محمد

ﷺ فسوف تنمو فيه نفسية التضرع إلى الله تعالى وتحرر وجدانه من الداخل عن كل ما عدا الله تعالى نعم إن لجميع حاملي الكتب السماوية قانونًا إلهيًا خاصًا موجزه: (أن الفساد عندما يسري في المجتمعات فإن الله تعالى ينزل عليهم المصائب والعقوبات العاجلة لينتبهوا وليصلحوا ما بأنفسهم).

فاليهود الذين حملوا دينًا نالوا عقوبات شديدة في تاريخهم بما كسبت أيديهم وبما صنعوا من فساد، ولم ينزل الله تعالى الملائكة على الأرض لمعاقبة اليهود بل سلط عليهم ناسًا قتلوا منهم عشرات الآلاف في فلسطين وأجلوا منها وحل محلهم أمم أخرى، وقد حدث ذلك أكثر من مرة، وقد اعتاد اليهود في تاريخهم نسبة هذه الأحداث إلى الأعداء، وكان عليهم أن يعرفوا أن ما حدث لهم عقوبة من الله تعالى لهم، وقد تولدت فيهم – تبعًا لهذا الفهم – روح الدسائس والمؤامرات، كما تولدت فيهم روح الغفلة ونفسية التمرد، ولو أدرك اليهود أن هذه العقوبات هى من عند الله تعالى لنشأت فيهم روح العبادة والتوبة والرجوع إلى الله تعالى لأن الله تعالى لا يبعث عقوبات بالملائكة بل ينفذ العقوبات بواسطة البشر لكي يتنبه العقلاء ويصلحوا شؤونهم.

وفي العصر الحديث أصبح المسلمون يوجهون التهم واللوم إلى غيرهم فنشأت فيهم فكرة سلبية لا تمت إلى الحقيقة بصلة ولم تتولد فيهم عقلية تقوم عليها جهود مجدية وأصبحوا لا يردون خطأهم في أمر من لأمور إلى أنفسهم بل يوجهون التهم إلى غيرهم ونتج عن ذلك أن فكرتهم الدينية أصبحت موجهة إلى السياسة فقط.

وبذلك أصبح المسلمون بلا شخصية لأن الشخصية الحقيقية تتولد من الشعور بالمسئولية وأصبح المسلمون لا يشعرون بأية مسئولية ولا يدركون أي واجب وحسبهم أن يطالبوا بالحقوق، ولذلك فقد أصبح منهج المسلمين في هذا الزمان قوميًا بدلًا من أن يكون نابعًا من مبدأ وحدة المسلمين .. إن الخسارة الفادحة التي تنتج عن هذه الفكرة الخاطئة هي: (أن المسلمين تخلوا عن فكرة الدعوة، والدعوة هي مقصد وجودهم على هذه الأرض) فالمسلم الذي يدعوا الناس إلى دين الرحمة والهداية يحترق قلبه ويتفجر شفقة ورحمة بهم ولكن حين اصطلح المسلمون على فكرة المؤامرات والدسائس تكونت منهم نفسية موجهة ضد الآخرين .. إنها نفسية الكراهية والحقد، وإذا كان هذا حالهم فكيف يمكن أن يقوموا بالدعوة بإخلاص وجدية؟ نعم كيف يمكن للقلب الحاقد أن ينشر الحب وللعقل المظلم أن ينشر النور؟ هكذا يقول وحيد الدين خان، ويستمر الداعية الإسلامي الهندي الكبير وحيد الدين خان في الحديث عن التفكير السليم في كتابه "قضية البعث الإسلامي" فيقول: (إن الذي يعتبر الآخرين خصومًا له يغدوا منهجه قوميًا وإن هذا الوضع قد يفضي إلى الاقتتال والتخاصم بين المسلمين لأن المسلمين عندما لا يقدرون على منازلة شعوب أخرى عسكريًا فإنهم يتخاصمون فيما بينهم إطفاء لنار العداوة في قلوبهم وإرواء لنزعة الصراع والمخاصمة في صدورهم .. وما نراه الآن على ساحة العالم الإسلامي يوضح ذلك وضوحًا تامًا).

ترى هل آن الأوان لنبدأ في التفكير المنطقي السليم الذي يخرجنا من الحيرة القاتلة التي نعيش فيها فنعود إلى ربنا وإلى ديننا ونعرف سنن الله

تعالى في الكون وندرك توجيهات القرآن الكريم فنصلح أنفسنا ونصلح هذا العالم الحائر.

والقرآن الكريم يقولها لنا واضحة صريحة: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) {آل عمران ١٣٧}، ويطلب من المسلمين أن لا يهنوا ولا يحزنوا إذا أصيبوا بهزيمة بسبب ما من الأسباب فإنهم الأعلون دائمًا إذا كانوا مؤمنين فهذه الاختبارات تبين الذين آمنوا بربهم حقًا من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ويتخذ من المؤمنين شهداء والله لا يحب الظالمين.

ومن زاوية أخرى فإن هذه المصائب تمحص الذين أمنوا وتبين الكافرين والحاقدين والمنافقين والذين لا يهمهم إلا الكسب المادي والكسب الأدبي وإن كانوا يقولون غير ذلك مع أن الله تعالى يعلم السر وأخفى.

وأخيرًا فإن المسلمين عليهم أن يتدبروا قول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذي جَعَلَكُم خَلائِفَ الأَرضِ وَرَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ لِيَبلُوَكُم في ما آتاكُم إِنَّ رَبَّكَ سَريعُ العِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفورٌ رَحيمٌ) {الأنعام ١٦٥}.

التخطيط السليم

ما المقصود بالتخطيط ؟ يقصد بالتخطيط العملية المنظمة التي يتم بها اختيار أحسن الحلول للوصول إلى أهداف معينة، وقد يكون التخطيط طويل المدى أو متوسط المدى أو قصير المدى، وقد يكون في الشؤون

الاقتصادية أو العسكرية أو الثقافية أو غير ذلك مما يهم الأمة في مستقبل حياتها.

والتخطيط في جوهره موازنة بين القدرات والإمكانيات المتاحة على اختلاف أنواعها وما يراد أن يحقق من أهداف وتطلعات.

خصائص التخطيط: للتخطيط خصائص كثيرة أهمها ثلاث:

أولًا: أنه يتضمن النظر إلى المستقبل وآماله بالنسبة لفرد أو مجموعة من الناس أو للدولة أو لمجموعة التي تسير على منهج واحد في نوع من أنواع التخطيط في ضوء الإمكانيات المتاحة سواء أكانت هذه الإمكانيات اقتصادية أم بشرية أم غيرها.

ثانيًا: أنه يعني العمل الإيجابي الهادف الذي يقوم على أساس متين من الفهم والجدية الكاملة في العمل.

ثالثًا: أنه يعني التنظيم في علاقات الأفراد بعضهم ببعض وبالأنظمة الاجتماعية المختلفة في ضوء إدراكه للعلاقة بين الأسباب والنتائج.

من هنا كان لابد عند التخطيط لعمل ما أن تتوفر له البيانات الكافية للموضوع الذي يخطط له والإحصاءات التي تلزم مع العناية الكاملة بأن يكون كل ذلك على درجة كبيرة من الصحة والدقة حتى يكون التخطيط قائمًا على أساس سليم.

أنواع التخطيط: والتخطيط له أنواع كثيرة، وقد تبنت كل دولة ما يناسبها من أنواعه على حسب تقدير المسئولين في كل دولة.

فهناك التخطيط الإلزامي الذي يشمل كل قطاع من قطاعات الدولة فيفرض عليه الالتزام بما تحدده الخطة من الأهداف، وهناك التخطيط الحر وهو الذي تقوم فيه الدولة بدراسات تنبؤية في الاقتصاد والتكنولوجيا ثم تترك المؤسسات ورجال الأعمال يتصرفون بحرية حسب ظروفهم، وهناك التخطيط الباني وهو الذي تحدد الدولة بموجبه الأهداف ثم تضع المؤشرات إلى ما ينبغي اتخاذه لتخطيطها تاركة للمؤسسات حرية التصرف والمبادرة التلقائية، وهناك التخطيط التشجيعي وهو الذي تكتفي فيه الدولة بالالتجاء إلى بعض الأساليب في الثواب والعقاب – عن طريق الضرائب وغيرها – من أجل تحقيق أهداف الخطة بدلًا من أن تقوم بالتنفيذ.

أهمية التخطيط: ويأتي سؤال لماذا تهتم الدولة في كل قطاعاتها بالتخطيط ؟ والجواب: أن التخطيط يساعد مساعدة فعالة على تحقيق الأهداف مع الاقتصاد في الوقت والجهد والمال.

ولكي يكون التخطيط سليمًا فلابد وأن يحقق الأهداف التي تنسجم مع المجتمع وقيمه وأخلاقه ومعتقداته، وإلا فإن المجتمع سيكون في حرب داخلية وبذلك يخسر المجتمع من هذا التخطيط.

ومن ذلك ما نلاحظه في نظمنا التعليمية في جامعاتنا إذ أن الخطة والمحتوى واردتان من الخارج ولا تتفقان مع قيم الشعب ومعتقداته، ومن

هنا ينشأ الصراع بين خريجي الجامعات وبقية طوائف الشعب للاختلاف على القيم والمعتقدات أحيانًا وهذا ما يحدث في معظم دول العالم الإسلامي.

أهم العوامل التي تؤثر في التخطيط:

أولًا: العوامل الاقتصادية: ويقصد بها الإمكانيات المادية المتاحة إنفاقها على الخطة التي يراد تنفيذها، وقد تكون هذه الإمكانيات من ميزانية الدولة أو من تبرعات الأفراد أو من الاقتراض الداخلي أو غير ذلك وقد تكون مزيجًا من هذا كله.

ثانيًا: العوامل الاجتماعية: ويقصد بها السكان ومدى السكان ومدى استعداد المجموعة التي ستقوم بتنفيذ ما خطط لها سواء أكان ذلك من الناحية الجسمية أم العقلية أم التعليمية أم الثقافية أم النفسية ثم معدل النمو السكاني الآن بالنسبة إلى مستقبل الأيام.

ثالثًا: العوامل السياسية: ويقصد بها الأسلوب الذي تسير عليه الدولة وهل هو أسلوب شيوعي أو أسلوب رأسمالي أو أسلوب إسلامي، لأن هذا يؤثر على التخطيط كما يؤثر على التنفيذ.

والتخطيط يستلزم وصف الموقف الحالي وتقويمه في الناحية التي يراد عمل التخطيط لها ثم دراسة الواقعية والفاعلية.

التخطيط في الإسلام: التخطيط في الإسلام ينبع أولًا من عقيدة المسلم التي ينبغي أن تكون أسسها ومفاهيمها واضحة في ذهن المخطط لتحقق

رسالته في هذه الحياة فالمسلم لا يبدأ من فراغ ولا يسير إلى هدف مجهول أو هدف مقتصر على الناحية المادية وحدها، فالمسلم خليفة الله في الأرض أمر بعمارتها ونشر العدالة والأمن فيها ولذلك فلابد وأن يلتزم المخطط بمنهج الله تعالى، قال تعالى: (وَأَنَّ هـذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ) {الأنعام ١٥٣}، فإذا ما سار في هذا الطريق واعتصم بالله فهذا أول خطوات النجاح قال تعالى: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) {آل عمران ١٠١}.

والاقتصاد في الإسلام جانب مهم في التخطيط الإسلامي ولكنه ليس الجانب الأهم لأن النظر إلى الجانب وحده سيأتي بمشكلات جديدة تحتاج إلى حلول تأخذ الوقت والجهد وهذا ما يحدث في الغرب.

والتجربة من أسس التخطيط السليم، والإسلام يدعو إليها والرسول ﷺ يقول في مسألة تأبير النخل: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) كما روى مسلم، وانطلق المسلمون يجربون ويكتشفون إلى الحد الذي جعلهم قادة في هذا الميدان يقول رينيه ميليه: (لقد جاء المسلمون بميدان في البحث جديد – بدأ يتفرع من الدين نفسه هو مبدأ التأمل والبحث – وقد مالوا إلى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء).

كما أن الدكتور فرنتور ونتال يقول: (إن أعظم نشاط فكري قام به المسلمون يدلنا جليًا في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم

واختياراتهم فإنهم كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة).

وقد ضرب القرآن الكريم مثلًا للتخطيط السليم الذي قام على أسس منطقية فأمكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعًا بالهلاك – لولا التخطيط السليم الذي قام به يوسف عليه السلام وهو أمين على الخزائن – وذلك حين فسر الرؤيا التي جاءت على لسان ملك مصر في قوله تعالى: (وَقالَ المَلِكُ إِنّي أَرى سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ وَسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ) {يوسف ٤٣}، وتولى يوسف عليه السلام تفسير الرؤيا فقال: (تَزرَعونَ سَبعَ سِنينَ دَأَبًا) {يوسف ٤٧}، أي متتابعة مجدين بلا انقطاع في عمل مستمر وهى السنوات السبع المرموز إليها بالبقرات السمان، فما حصدتم فاتركوه في سبيله لأن هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية واحتفظوا به للسنوات العجاف التي رمز إليها بالبقرات العجاف، وهذه طريقة سليمة لحفظ المحصول سليمًا طوال هذه المدة، إلا قليلًا مما تأكلون فجردوه من سنابله ويكون الحب لكم والتبن لدوابكم، ثم تأتي من بعد ذلك سبع شداد لا زرع فيهن يأكلن ما قدمتم لهن وكأن هذه السنوات هى التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها إلا قليلًا مما تحفظونه وتصونونه من التهامها، ثم تنقضي هذه السنوات العجاف المجدبة التي تأتي على ما خزنتم وادخرتم من سنوات الخصب تنقضي ويعقبها عام رخاء فيه يغاث الناس بالزرع والماء وتنمو كرومهم يعتصرونها خمرًا، كما ينمو السمسم والخس فيعتصرونها زيتًا.

وقد عم القحط كل مصر ووصل إلى بلاد كنعان التي يسكن فيها يعقوب وأولاده، وقد تولى يوسف عليه السلام التخطيط لهذه الفترة التي تبلغ خمس عشرة سنة وتولى التنفيذ الدقيق طوال هذه الفترة، وقد كان يوسف عليه السلام لا يعطي للرجل أكثر من حمل بعير حتى يستطيع أن يجتاز هذه السنوات العجاف بسلام.

وكان عليه السلام القدوة المثلى في التنفيذ – فكان لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك والجنود إلا أكلة واحدة في وسط النهار – وهذه ميزة في التخطيط الإسلامي فالمسئول عن التخطيط أو التنفيذ لابد وأن يكون أول الملتزمين بالتنفيذ بل وأن يكون قدوة في ذلك فلا يأخذ أكثر من غيره بل يأخذ أقل من غيره حتى يكون الرضا بما يعلمه كاملًا، ولعل هذا الالتزام هو الذي جعلهم يجتازون هذه المحنة القاسية بنجاح كامل.

والهجرة مثال للتخطيط الكامل تولاه النبي ﷺ في مرحلة من أهم مراحل الدعوة الإسلامية وأخطرها، فقد بدأ النبي ﷺ يخطط للهجرة إلى المدينة التخطيط الدقيق الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعلمه إلا عملها فقد استبقى النبي ﷺ معه أبو بكر وعليًا كجزء من الخطة فلكل منهما دوره الهام.

وبدأ أبو بكر يقوم بدوره المرسوم له فابتاع راحلتين حبسهما في داره يعلفهما استعدادًا لهذه الرحلة واستأجر خبيرًا بالصحراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله ابن أريقط – وكان مشركًا – ولكنه كان أمين على الأسرار ودفع إليه الراحلتين فكانتا عندهما لميعادهما، وقد حدد

النبي ﷺ دور كل من الأشخاص الذين وضعت الخطة على أساس اشتراكه في التنفيذ.

فمهمة عبد الله بن أبي بكر – وهو غلام حاذق سريع الفهم – أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وبهذا يكونون على علم بكل تحركات قريش فهو بذلك كان يقوم بدور رجل المخابرات.

ومهمة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر أن يرعى غنمه نهارًا ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار فيقوم بمهمة مزدوجة، الأولى أن يتتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفي عليه، والثانية أن يحتلب الرسول ﷺ وأبو بكر من الغنم وأن يذبحا.

ومهمة علي بن أبي طالب مزدوجة أيضًا، الأولى أن ينام مكان النبي ﷺ ليعمى الأمر على قريش، والثانية أن يؤدي الودائع التي كانت عند النبي ﷺ لأهل قريش.

وكانت مهمة عبد الله بن أريقط أن يكون دليلهما في هذه الخطة ذلك لأنه كان خبيرًا بالصحراء وموطن ثقة، ومن التخطيط الذي اتبعه النبي ﷺ في الهجرة سرية الخطة كلها – السرية التامة – فلم يكن يعرف بالخطة إلا النبي ﷺ وصاحبه والدليل حتى أن أبناء أبي بكر كانوا لا يعرفون شيئًا عن جهتهما، ولم يعلموا إلا بعد الوصول إلى المدينة تقول أسماء: مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجهة رسول الله ﷺ إلى أن استمعنا إلى صوت يتردد في مكة منشدًا:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث رسول الله ﷺ وأن وجهته إلى المدينة، ومع أن المدينة تقع شمال مكة إلا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون إلى الجنوب لتضليل المطاردين، وهكذا نجحت هذه الخطة النجاح الكامل فوصل النبي ﷺ إلى المدينة بسلام حيث أدى رسالته كاملة بل إن الهجرة أصبحت مبدأ للتاريخ الإسلامي لما لذلك من أهمية كبرى في حياة المسلمين.

الإحصاء والتخطيط: والإحصاء عامل في التخطيط – لأنه يبين الإمكانيات المتاحة لتنفيذ المراد تنفيذه – وقد استخدم النبي ﷺ الإحصاء في المدينة لمعرفة الإمكانيات الموجودة حتى يرسم الخطة على أساس سليم، وقد روى البخاري أنه ﷺ أمر بعض أصحابه بعد الهجرة إلى المدينة أن يحصر عدد الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفًا وقد كان يعرف عدد المهاجرين منهم والأنصار، وعلى هذا الأساس بدأ يخطط للغزوات والسرايا.

والآن ونحن في القرن الخامس عشر الهجري ونحن نريد أن نبدأ صفحة جديدة في التخطيط وفي التنفيذ تعيد للمسلمين مجدهم وللإسلام عزته، فإن علينا أن نفكر في تخطيط جديد كامل متكامل يجعلنا نسير في طريق تحقيق الهدف الذي نريد أن نصل إليه.

لابد وأن نخطط لتربية المجتمع الإسلامي تربية تقوم على أساس فهم المسلم لرسالته التي تجعله يحطم الصهيونية والاستعمار في كل صوره وأشكاله ثم تجعله يحمل رسالته إلى الدنيا كلها ليخرج من فيها من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى كما قال ربعى – لرستم قائد الروم – ثم يحقق رسالته باعتباره خليفة الله في الأرض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل ويعمر الأرض، ولذلك فلابد من وضع خطة ليتوافق المجتمع الإسلامي مع الاختراعات التقنية المختلفة المتنوعة والمتطورة على أن يستوعبها ويستخدمها في حدود في حدود قيمه الإسلامية والإسار في طريق يتحول به عن هدفه الأسمى ويصبح المجتمع الإسلامي حائرًا كالمجتمعات الغربية منصرفًا عن القيم والأخلاق وفاقدًا عناصر السعادة، وإعادة تربية المجتمع الإسلامي أن يستعيد مكانته وأن يؤدي رسالته الإسلامية وأن ينقذ نفسه من موجات التحلل والضياع التي تسير إليها المجتمعات الغربية ثم ينقذ منه هذه المجتمعات أيضًا، وبهذا يرضى المجتمع الإسلامي عن نفسه ويرضى عنه كل مجتمع في هذه الحياة ويرضى الله تعالى عنه.

الإحسان في الإسلام

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض وجهزه بحقيقتين عظيمتين هما القلب والعقل وأقام كل منهما على وظيفة.

ولابد لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه من عمل كل من هذين الجهازين، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهوائها بخفقان القلب

وعواطفه، ولولا القلب لما وجد الخير ولظل بنيان الفضائل والمثل العليا مجرد كلمات حلوة على الشفاه والإسلام دين الله الخالد وجامع الفضائل كلها وقد جاء ليخاطب العقل والقلب معًا يخاطب العقل ليدرك ويدبر، ويخاطب القلب ليحب ويتأثر.

والمسلم مطالب بالعمل على تقوية إيمانه وزيادته حتى يصل بها إلى درجة الإحسان، ودرجة الإحسان تظهر في قول الرسول ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم، والإحسان بهذا المعنى هو القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإنسان بناءه كله وتشريعاته وتوجيهاته كلها.

والإسلام وحده هو الذي يجعل العبادة عملًا والعمل عبادة والذي يربط النفس والجسم والسماء والأرض والدنيا والآخرة كلها في نظام واحد وحينما يتوجه الإنسان المسلم بنفسه إلى الله تعالى فإنه سينظف نفسه لأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية فكل عمل يراه وكل خاطرة يعلمها: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) {غافر ١٩}، وحين ينظف المسلم نفسه على كل كبيرة وصغيرة ويراجع كل عمله وكل كلمة قالها وكل خاطرة وسوست بها نفسه، حين يتم ذلك يستقيم أمر الحياة كلها، ثم يستقيم أمر الحاكم والمحكوم ويستقيم أمر المرأة والرجل ويستقيم أمر الوالد والولد ويستقيم أمر الفرد والمجتمع.

الإحسان في القول:

وقد طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يحسنوا في القول قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ {البقرة ٨٣}، وطلب من النبي ﷺ أن يوصي عباده بالقول الحسن وأن ينتبهوا إلى أن الشيطان ينزغ بينهم وهو لهم عدو مبين قال تعالى: ﴿وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ بَينَهُم إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلإِنسانِ عَدُوًّا مُبينًا﴾ {الإسراء ٥٣}.

كما طلب الإسلام من المسلمين ألا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم فحاربوا فمن جنح للسلام فيها ونعمت قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {العنكبوت ٤٦}.

وحين يدعو الإنسان المسلم إلى الله فعليه أن يدعوا بالقول الحسن قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ {فصلت ٣٣-٣٥}، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ﴾ {النحل ١٢٥}.

الإحسان في المال:

ومعناه إنفاق ما فاض عن حاجة المالك في المصلحة العامة وأن يكون الإنفاق وسطًا بين التقتير والإسراف وقد جاء في وصف عباد الرحمن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ {الفرقان ٦٧} أي يكون الإنفاق وسطًا، والإحسان في المال مجال من المجالات التي يتفوق فيها مسلم على المسلم وهو يوفر معنى من معاني الإسلام معنى التعاطف والترابط بين أفراد المجتمع، وذلك يدل على قوة الإحساس بالأخوة الإسلامية التي تجعل المجتمع يحس بأنه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

والإحسان في المال يصفي النفوس من رواسب الحقد ويشعر المحروم العاجز والجاهل والمريض بأن أي فرد منهم له اعتباره البشري وأن له أخوة يحسون بإحساسه ويعملون على إنقاذ مما هو فيه.

وقد جاء في وصف المتقين في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ {الذاريات ١٥-١٩}، والمحسن ينظر إلى ما ينفقه على أنه غنم تقر به عينه وتسر به نفسه لأنه قربى إلى الله تعالى.

ويكثر الإحسان في المال حينما يكون المجتمع سليمًا قوي الصلة بالله يعمل أفراده على ما فيه مصلحة المجتمع طبقًا لمنهج الله تعالى.

ولو تعودنا أن مجتمعًا إسلاميًا لا يتصف أفراده بصفة الإحسان بالمال لأدركنا أن هذا المجتمع سيتفكك من روابطه وستنتشر معاني الحقد والحسد في نفوس الفقراء والمرضى والمحتاجين ويبدأ الصراع الذي لا يعلم مداه إلا الله.

والزكاة تضمن الحد الأدنى للرعاية الاجتماعية الأولية التي تحمي المجتمع من التمزق ولكن الإحسان يتكفل بما زاد عن هذا القدر الضروري في سبيل المحافظة على كيان المجتمع وبقائه عزيز الجانب ولذلك حث الإسلام على الإحسان في المال في قوله تعالى: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) {البقرة ٢٤٥}، وقال أيضًا حاثًا على الإكثار من إنفاق المال: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ(٢٦٣)) {سورة البقرة ٢٦١-٢٦٣}، وقد يكون الإحسان فرضًا إذا احتاج إليه المجتمع وكان عدم بذل المال فيه تمزيق للمجتمع وإثارة للبغضاء بين النفوس وبداية لتقويض أركان المجتمع الإسلامي ومن هنا كان حث القرآن وكثرة الترغيب التي نشير إلى أن الإنفاق في الظروف غير العادية قد يصل إلى مستوى الوجوب مما يدل على أهمية حياة المجتمع إيجابًا وسلبًا، وقد سأل بعض الصحابة عما

ينفقونه فقال لهم ما يفيض عن حاجتهم حسبما تكون مصلحة الأمة قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) {البقرة ٢١٩}.

ولعل من أسباب الفرقة بين المسلمين في العصر الحاضر اختلال توزيع الثروة الإسلامية من جانب وقلة الإحسان في الإنفاق مما نتج عنه مشكلات اجتماعية وسياسية متنوعة ووعي المسلمين في أنحاء الأرض بالتكافل عن طريق الإحسان إلى جانب الزكاة يجعل منفعة المال للمسلمين جميعًا وتبقى الأخوة والمودة والترابط ولا يوجد مكان للانقلاب أو الاقتتال أو التربص الأشياء التي تبعث القلق وتنشر الخوف في أرجاء المجتمعات.

في الفترات التي كان الإحسان في القول والإحسان في العمل في كل مجالاته يسود المجتمع الإسلامي كانت الأمة تنطلق لأداء مهمتها في هذه الحية وكانت تظهر فيها قمم شامخة وعظمة نفسية وروحية تتكاثر وقويت الروابط التي شملت العالم الإسلامي كله وفاضت إلى غير المسمين وظل المجتمع الإسلامي متماسكًا متكافلًا تربطه روح المودة.

ذلك كله كان أثر العبادة الحقة لأن المسلم يعبد الله كأنه يراه وكانت نفوسهم تتفرق أحيانًا وتجتمع أحيانًا تعيش على حب الله والعمل في سبيله وعبادته كأنها تراه وكان حرص الإسلام على ألا يقف المسلمون عند أول مراتب الإسلام ولا أول مراتب الإيمان إنما يحاولون بلوغ الإحسان وهى المرتبة التي تجعل المسلم قادرًا على أداء رسالته في هذه الحياة كما أداها صحابة رسول الله ﷺ.

الترويح من منظور إسلامي

ماذا يقصد بالترويح ؟

الترويح: تعبير يقصد به الأشياء التي يقوم بها الإنسان ليرفه عن نفسه فيستريح من متاعب العمل ويستطيع أن يبدأ أعمالًا جديدة بروح قوية وصحة وحيوية دافقة.

ذلك لأن الأعمال الجادة المستمرة تجعل الإنسان يحس بالملل والضيق – الإجهاد – الأمر الذي لا يمكن الفرد من استئناف عمله أو أدائه على الوجه المرضي.

النفس في الإسلام:

ونفس المسلم ليست كئيبة تأخذ الحياة من زاوية العمل والجد فقط والرسول ﷺ طلب من المسلمين أن يروحوا القلوب ساعة بعد ساعة لأنها إذا تعبت كلت – ومن هنا فإن نفس المسلم متفائلة فاهمة مبتسمة تنظر إلى الحياة النظرة الإسلامية التي تجعل الدنيا كلها مبدأ للمسلم بكل ما فيها من أفعال وأقوال – ما دام يبتغي بذلك وجه الله تعالى وتحقيق وظيفته في هذه الحياة – حتى ولو كان ذلك طعامًا أو شرابًا أو لباسًا أو زواجًا أو ترويحًا – لأن ذلك من الأشياء التي تعينه على أداء وظيفته في هذه الحياة.

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا – وكان يحب السرور وما يجلبه ويكره الحزن وما يدفع إليه وكان يستعين بالله من شر ذلك كله ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز

والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) – أبو داود.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (إن القلوب تَمَلّ كما تَمَلّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة).

وأبو الدرداء يقول: (إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو ليكون لها أعون على الحق).

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يظنون أن الإسلام لا ترويح فيه عن النفس فحملوا الهموم، ومن هؤلاء حنظلة الأسدي – وكان من كُتَاب الوحي – قال كما روي في صحيح مسلم: لقيني أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت: نافق حنظلة، قال أبو بكر: سبحان الله ماذا تقول ؟ قلت: نكون عن رسول الله ﷺ يذكرنا النار والجنة حتى كأنا نراها رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيفان فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنّا لنلقى مثل هذا يا حنظلة، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال ﷺ وما ذاك ؟ فقلت يا رسول الله نكون عندك فتذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا نراها رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيفان ونسينا كثيرًا، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة – وكررها ثلاث مرات).

الترويح في الإسلام:

والترويح في الإسلام لا يقصد به التسلية وقتل الوقت كما يرى بعض الناس – لأن الوقت في الإسلام هو أغلى شيء في هذه الحياة – ففي الوقت يحقق الإنسان المسلم وظيفته في هذه الحياة ويؤدي واجبه – وهو محاسب على كل دقيقة من عمره فيم أنفقها ؟.

كما أنه لا يوجد في الإسلام ترويح للترويح أو تسلية للتسلية أو ترفيه للترفيه أو لعب للعب – بل إن الترويح هدفه الأساسي: الترويح عن النفس لتكون أقدر على أداء الرسالة التي وكلها الله إلى الإنسان في هذه الحياة.

والترويح في الإسلام ليس محدودًا – فأنواعه كثيرة – ولكن الإسلام يقر منها ما يحقق الهدف ويمنع منها ما يبعد المسلم عن أداء رسالته.

ومن أنواع الترويح التي تحقق الهدف:

مسابقة العدو:

والعدو هو انتقال الجسم بقفزات متتابعة ينفصل فيها الجسم عن الأرض ويبقى لحظة معلقًا في الفضاء ثم يهبط على الأرض مستندًا إليها بإحدى قدميه، ويتحرك بالعدو أكثر عضلات الجسم ولاسيما الطن والفخذين.

وكان رسول الله ﷺ يشرف على السباق فقد روى عبد الله الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وكثيرًا من بني العباس ثم يقول: من سبق إلى مكان كذا ؟ فيستبقون إليه فيقعون فيقبلهم ويلزمهم.

وقد روى أن عليًّا كان عدّاء سريع العدو وأن الصحابة كانوا يتسابقون والنبي ﷺ يقرهم على ذلك، بل إن النبي ﷺ كان يسابق زوجه عائشة مباسطة لها وتطييبًا لنفسها، قالت عائشة: (سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني، فقال هذه بتلك) يشير إلى الأولى – رواه أحمد.

وإذا عرفنا أن هذه المسابقات كانت والنبي ﷺ فوق الخمسين من عمره، إلى جانب أنه رسول أدركنا أن المسابقة لا تتنافى مع الوقار والشرف والسن.

وكما تكون المسابقات بين بني الإنسان تكون بين الحيوانات، فقد روى أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا سبق إلا في خف إبل أو نصل سهم أو حافر خيل)، وعن بن عمر قال: سابق النبي ﷺ بالخيل التي قد ضمرت "علفت" من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع "نحو ستة أميال" وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني رزيق "نحو ميل".

وقد بين النبي ﷺ أنواع الخيل التي توجد عند الإنسان فقال: (الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله "يعني أن ذلك كله من الحسنات" وأما فرس الإنسان فالذي يرتبطه الإنسان يلتمس بطنها "أي للنتاج" فذلك ستر من الفقر، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه).

ولكن الإسلام يمنع التسلية لمجرد التسلية وهى التي لا توصل إلى الهدف الإسلامي، ولذلك فقد جعل السباق الذي يقامر الإنسان عليه إنما هو الشيطان لأن صاحبه قد انحرف به الهدف الأسمى وهو أن يكون كل ذلك في سبيل الله تعالى.

المصارعة:

المصارعة نوع من أنواع الترويح عن النفس، ولكنها ليست المصارعة التي يعرفها الغرب والتي نراها على شاشات التلفاز والتي يحاول فيها كل من المتصارعين أن يتفوق بأسلوب مشروع أو غير مشروع، ويتخذ فيها من العنف ما يؤثر على صحة المصارع الجسيمة والنفسية والتي قد تصل بالمتصارعين إلى الإصابة بعاهة مستديمة أو تصل به إلى الموت.

وقد روى في أسد الغابة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله ﷺ يقول: هيه حسن، فقالت فاطمة لم تقول هيه حسن ؟ قال: إن جبريل يقول: هيه حسن).

وقد أجاز النبي ﷺ رافع بن خديج وهو ابن خمسة عشرة سنة لأن أباه شفع له بقوله: إن ابني رافعًا رام ورد سمرة بن جندب لصغره، فقال سمرة، لقد أجزت رافعًا ورددتني ولو صارعته لصرعته، ووقعت المصارعة بينهما فصرع سمرة رافعًا فأجازه وخرج وقاتل يوم أحد.

بل إن النبي ﷺ صارع ركانه وكان رجلًا معروفًا بقوته وشدته، فقال ركانة: شاة بشاة فصرعه النبي ﷺ ، فقال: عاودني في أخرى فصرعه أيضًا،

عاودني فصرعه الثالثة، فقال الرجل: ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب وشاة نشزت فماذا أقول في الثالثة ؟ فقال النبي ﷺ : ((ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك خذ غنمك)) "رواه أبو داود".

الرمي بالسهام:

ومن الترويح في الإسلام الرمي لأنه يحقق هدفًا حربيًا له أهميته في تحقيق رسالة الإسلام ولذلك فقد كان النبي ﷺ يمر على أصحابه في حلقات الرمي "التصويب" فيشجعهم ويقول: (أرموا وأنا معكم) رواه البخاري، وكان النبي ﷺ يرى في الرمي أيضًا نوعًا من القوة، وقال في ذلك: (ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي) رواه مسلم، وقال: (عليك بالرمي فإنه خير لهوكم) رواه مسلم.

ولكنه نهى عن كل شيء لا يحقق الهدف ومن ذلك أنه نهى عن اتخاذ شيء له روح غرضًا لأن فيه تعذيب له، وقد رأى عبد الله بن عمر ﷺ جماعة يفعلون ذلك فقال: (إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا) متفق عليه.

ولذلك فقد نهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم بتسليط بعضها بعض، وكان من العرب من يأتي بكبشين أو ثورين يتناطحان حتى يهلكا أو يقاربا الهلاك وهم يتفرجون ويضحكون، ودخل أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها فقال لهم: (نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم أي أن تحبس وهى حية ثم ترمى حتى تقتل) رواه مسلم،

فهو لا يحقق الهدف وهو تعذيب لنفس خلقها الله تعالى وفي ذلك أيضًا إضاعة للمال الذي ينبغي أن ينفق فيما يفيد المجتمع الإسلامي.

سباق الدراجات:

وسباق الدرجات من الرياضيات السهلة لأن الحركات التي يتحركها الراكب متناسقة موزونة وغير متعبة وهى تحرك عضلات الجسم المتناظرة بقوة متعادلة فتنبسط فيها عضلات القدمين والفخذين والحوض وينتج من انثناء الراكب إلى الأمام تحريك عضلات الحوض الظاهرة والباطنة وينتج من اتجاه الدوران تحريك عضلات الجزع وتؤثر في عضلات الظهر الكبيرة وعضلات البطن والصدر.

وتنبه هذه الرياضة القلب فتقويه وتحرك الأمعاء فتنشط الجهاز الهضمي وهى خير وسيلة لتصحيح تشوهات الانحراف الذي يكون بظهر الأطفال ويستفيد المرتاض بهذه الرياضة من الحركة والهواء وتقي من السمن.

اللعب بالحراب "الشيش":

وقد عرف هذا اللون من الألعاب في عهد النبي ﷺ وقد اشتهر به الأحباش، وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بها في مسجده الشريف وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهو يقول لهم: (دونكم يا بني أرفدة) وهى كنية ينادي بها أبناء الحبشة عند العرب.

وقد روى عن أبي هريرة ؓ قال: (بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، فقال النبي ﷺ:

دعهم يا عمر)، وهو لهو ورياضة وتدريب وسماحة من الإسلام، وقد قال العلماء تعقيبًا على هذا الحديث: أن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال يجمع بين منفعة الدين وأهله جاز، قالت عائشة ﵂: (لقد رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو) متفق عليه.

الصيد:

والصيد من أنواع الترويح التي تفيد الإنسان وتفيد أهدافه الإسلامية وهو رياضة واكتساب ومنفعة سواء أكان ذلك عن طريق الآلة كالنبال والرماح أو عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور مادام المسلم غير محرم ومادام الصيد ليس في الحرم.

وكان حمزة بن عبد المطلب ﵁ مولعًا بالقنص، وكان إسلامه عند منصرفه من صيد وعلى يده صقر، وكان كثير من الخلفاء في العصر العباسي مولعين بالصيد ومنهم المعتصم والمعتضد، ولا زالت هذه الرياضة مشهورة في بلاد الخليج، وكانت العرب تصطاد بالجوارح والآلات وغير ذلك، ومن الضواري التي كانت العرب تصطاد بها الفهد وأول من اصطاد به من العرب كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخرساني.

وتستخدم الكلاب في الصيد وهي شديدة الرياضة كثيرة الوفاء، وتشتهر باقتفاء الآثار وشم الرائحة بصورة لا توجد في غيرها من

الحيوانات، وأنواع الكلاب كثيرة وكلها تصلح للصيد إذا أحسن تدريبها، وفي الصيد تستخدم الجوارح ومنها الصقور ومازال الصيد بها مألوفًا عند عرب البادية.

وقد تعلم الصليبيون من العرب طريقة الصيد بأنواعه فنشروها عندهم واعتنوا بها كثيرًا، حتى أن الصيد بالصقور أصبح من أعظم وسائل الصيد والتسلية عند النبلاء في أوروبا، وكان ملوك الفرنجة يخصصون أناسًا للإشراف على تأديب الصقور وتأنيسها.

والاهتمام بالصيد جعل علماء المسلمين يهتمون بدراسة حياة الحيوانات والطيور، ومن هؤلاء الدميري في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) والجاحظ في كتابه (الحيوان).

الغناء والموسيقى:

أباح الإسلام الغناء مادام لا يشمل على فحش أو تحريض على إثم ولا بأس بأن تصحبه موسيقى غير مثيرة، ويستحب الغناء في المناسبات السارة إشاعة للسرور وترويحًا للنفوس كأيام الأعياد والأعراس وقدوم الغائب والعقيقة وعند ولادة المولود.

وقد روى عن السيدة عائشة ﷺ أنها زفت امرأة من الأنصار فقال النبي ﷺ: (أما كان معكم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو) "البخاري"، وقال ابن عباس: زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار

فجاء رسول الله ﷺ فقال: أأهديتم الفتاة ؟ قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها من يغني ؟، قالت: لا، فقال النبي ﷺ إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم

وعن عائشة ﷺ أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى في عيد الأضحى تغنيان وتضربان الدف والنبي ﷺ متفش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: ((دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد)) "متفق عليه"، وعن عامر بن سعد ﷺ قال: ((دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺومن أهل بدر يفعل هذا عندكم ؟، فقال: إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فاذهب فقد رخص لنا في اللهو عند العرس)) "رواه النسائي".

ويلاحظ أن الغناء له شروط بحيث لا يخالف أدب الإسلام وتعاليمه وأن يكون الغناء بدون تكسر ولا تميع ولا إثارة ولا إغراء بالشهوات، وبحيث لا يكون هناك إسراف وألا يقترن بمثيرات أخرى كشرب الخمر، وفي العصر الحديث كثرت العناية بالترويح وكثرت طرقه وانتشر عن طريق إنجازات التقنية الحديثة في الصحافة والإذاعة والتلفاز.

والذي لا يتفق مع التربية الإسلامية أن يكون الترويح هدفه الترويح فقط كما أنه يتخذ أساليب لا يقرها الإسلام فهو يعمل على إثارة الغرائز والهاء الناس عن أداء واجبهم، وهذه أشياء بعيدة عن أهداف الإسلام والتربية الإسلامية.

ومن هنا كان لابد من إعادة النظر في هذه الأشياء بحيث ترسم لها أساليب سليمة في اتجاه فلسفة مرسومة تتفق مع الإسلام وتعمل على نشر القيم والأخلاق وفي الوقت نفسه ترفه عن المجتمع، وهكذا يعنى الإسلام بالترويح بالأسلوب الذي يحقق الغرض منها ويتفق مع رسالة الإسلام، وبذلك يصبح الترويح تربية تبني الإنسان وتعينه على أداء رسالته التي خلقه الله تعالى لأدائها.

الجهاد في سبيل الله

شرع الله سبحانة وتعالى الجهاد للدفاع عن الإسلام ورفع الظلم عن الناس ونشر راية الإسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فالقتال في الإسلام يكون لدفع الباطل ونصرة الحق وبذلك لا ينتشر الفساد في الأرض فتهدم أماكن العبادة في الديانات المختلفة وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) {الحج ٤٠}.

فالباعث على الجهاد في الإسلام أمران:

الأول: دفع الظلم ومنع الفتنة وفي يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّـهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة ١٩٣}، والاعتداء على المسلمين يرد بمثله يقول الله تعالى في ذلك ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ {البقرة ١٩٠}.

الثاني: التمكين للدعوة الإسلامية عن طريق إزالة الحواجز التي يقيمها الملوك والحكام الظالمون أمام دعوة الإسلام وبذلك يعرف الناس الإسلام فإذا عرفوه فقد تبيّن لهم الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

والجهاد في سبيل الله مستمر إلى أن تقوم الساعة، ولكن يلاحظ أن أهم المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام بين الحق والباطل كانت في شهر رمضان وبذلك أُتِيْح للناس أن يعرفوا الإسلام على حقيقته.

ورسالة محمد ﷺ للناس جميعًا على امتداد الزمان والمكان فقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وشريعة الإسلام جاءت بمبادئ واضحة، وفضائل الإسلام دافعة للشر حاملة على الخير، ولذلك كان لابد لهذه الرسالة من قوة تحميها من ظلم الظالمين وتزيل العقبات المختلفة التي توضح أمامها وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرينَ مِن دونِهِم لا تَعلَمونَهُمُ اللَّهُ يَعلَمُهُم وَما تُنفِقوا مِن شَيءٍ في سَبيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم

لا تُظلَمونَ(٦٠)) {الأنفال ٦٠}، والله تعالى يوصي بالعفو إذا كان في ذلك فائدة للدعوة الإسلامية يقول الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٠٩)) {البقرة ١٠٩}، فإن كان هناك رد للعدوان فيكون بمثل ما فعل الأعداء، يقول الله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(١٩٤)) {البقرة ١٩٤}.

والحروب في الإسلام شرعتها الرحمة وأظلتها الرحمة وأنهتها الرحمة، ومن الرحمة بالناس أن تقطع عناصر الفساد وأن يرد الاعتداء بمثله لسلامة الناس حتى يعيشوا في راحة، وكلمة الحق تسري بدون حواجز تحول دون ذلك يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) {البقرة ١٩٣}.

والإسلام ارتقى بفكرة الحرب وسما بأسبابها، فلا مكان في الإسلام للقتال بهدف العدوان أو الرغبة في السيطرة أو السعي إلى فرض نفوذ أو امتداد حدود.

وقد دعا الناس جميعًا إلى أن يدخلوا في السلم كافة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) {البقرة ٢٠٨}، ذلك لأن الإسلام دين الفطرة، ولذلك فقد حصر فكرة الحرب في أضيق الحدود فجعلها محصورة في إنقاذ الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، كما جعلها للدفاع عن

النفس وعن المال وعن العرض فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج ٣٩}، أو لتأديب ناكثي العهد فقال الله تعالى: ﴿وَإِن نَكَثوا أَيمانَهُم مِن بَعدِ عَهدِهِم وَطَعَنوا في دينِكُم فَقاتِلوا أَئِمَّةَ الكُفرِ إِنَّهُم لا أَيمانَ لَهُم لَعَلَّهُم يَنتَهونَ(١٢)﴾ {التوبة ١٢}، فإن رغبوا في السلام فإن الإسلام يرغب فيه قال الله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة ١٩٣}.

ولعل المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي يعيش فيه – على مدى التاريخ – أناس من غير المنتمين إليه دينًا وهم يحسون بالأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة إلى درجة أدهشت الناس في جميع الأماكن والأزمان، وفي ذلك كتب المستشرق الفرنسي (جوتينيه) في كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم) يقول: "مما نشاهده في داخل البلاد الإسلامية قديمًا وحديثًا أن الإسلام يوجد دائمًا بين جناحيه من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي طوائف من غير المسلمين – يهود ونصارى ومجوس – وطوائف من المسلمين المبتدعين – خوارج وإباضية – ولم يفكر المسلمون يومًا حتى وهم في أشد أوقات حميتهم أن يضطهدوا أحدًا غيرهم"، ثم يقول: "إنها فضيلة تستحق كل الإعجاب والتقدير".

وفي بداية الإسلام مكث النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ثلاثة عشر عامًا في مكة – ولقى ما لقى من العنت والمشقة والإيذاء – كما لقى الذي دخلوا في الإسلام الإيذاء والتعذيب وقتل بعضهم بعد تعذيبهم – ثم هاجر إلى المدينة – ومازال الكفار يعملون على

اقتلاع الإسلام من جذوره حتى نزل قوله تعالى: (وَقاتِلُوا المُشرِكينَ كافَّةً كَما يُقاتِلونَكُم كافَّةً وَاعلَموا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقينَ) {التوبة ٣٦}.

وقد أراد بعض المسلمين أن يكرهوا أبناءهم على الدخول في الإسلام فنزل قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) {البقرة ٢٥٦}، وكان النبي ﷺ يقول: ((لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاثبتوا))، وكان يقول: ((سيروا باسم الله في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ولا تغلوا (تخونوا) ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا طفلًا ولا شيخًا ولا امرأة)).

وكانت نهاية حروب النبي ﷺ تنتهي بأحد ثلاثة أمور:

١ - الموادعة، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَإِن جَنَحوا لِلسَّلمِ فَاجنَح لَها وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ[٦١]) {الأنفال ٦١}.

٢ - الصلح بانتهاء القتال على أساس العدالة والوفاء بكل ما التزم به الطرفان من حقوق.

٣ - الانتصار للمؤمنين والاستسلام من الكافرين.

معاملة المهزومين:

والإسلام يأمر بمعاملة المهزومين معاملة إنسانية كاملة وفيها العفو والصلح – وهذا ما ظهر في كل غزوات النبي ﷺ – وفي فتح مكة قال

النبي لقريش: ((ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيرًا .. أخ كريم وابن أخ كريم، قال: أقول لكم ما قاله أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين – اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهذه السماحة لا يوجد مثلها في أية حضارة من الحضارات قديمًا وحديثًا.

الجهاد رهبانية الإسلام:

قال النبي ﷺ: ((في كل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد))، ويتشابه المجاهد مع الراهب في ثلاثة أمور هى:

١ –اعتزال الناس جملة والخروج من الحياة التي يحياها الناس لأنفسهم متمتعين بالحياة الدنيا وزينتها.

٢ –الراهب يعتزل النساء، والمجاهد التقي يعتزل النساء وينقطع عن الأولاد في مدة الجهاد وهم فلذات أكباده.

٣ –كلاهما قدم نفسه لله تعالى، الراهب بالعبادة والمجاهد قدم نفسه ليحمي الحق الذي أمر الله تعالى بنصره.

ويختلفان في أن الراهب يعتزل الناس بعبادته الانفرادية، والمجاهد يعتزل الناس ليحمي الناس وينصر دين الله، والإسلام منع الرهبنة لأنها فرار من الحياة وتبعاتها ولأنه يريد من المؤمن أن يكون نافعًا للناس – فالعبادة في الإسلام إيجابية وهى مشاركة في رفع النوع الإنساني ولذلك فإن الإسلام يعد كل نفع لأفراد المجتمع، يقول النبي ﷺ: ((ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان أو ذا كبد إلا كان له بها صدقة))،

وروحانية الإسلام فيها سمو نفسي وتحرر من الجسم وشهواته وتحسين العلاقات الإنسانية، وأن يألف المؤمن الناس ويألفونه.

حب الجهاد:

والإسلام يربي المجتمع الإسلامي على حب الجهاد في سبيل الله، والله تعالى يقول في ذلك: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) {الحج ٧٨}.

كما أنه يغير مفهوم الموت بالنسبة للشهداء فهم ليسوا أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون، وهذا يعطي للمجاهدين قوة دافعة يزيدها معرفتهم بأن الشهداء فرحين بما آتاهم الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) {آل عمران}.

فالقتال في الإسلام عبادة لأن الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، أما الذين كفروا فإنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، وعلى المؤمنين أن يقاتلون أولياء الشيطان لأن كيد الشيطان ضعيف.

والمسلم حين يملأ نفسه في الرغبة بالتقرب إلى الله تعالى فإنه سيقوم بكل ما يأمره الله تعالى به مما يرغب فيه من متاع الحياة الدنيا – ولا يرهب الموت لأنه سيجد البديل عن ذلك عند الله لأنه سيجد ما هو خير منه وأعظم أجرًا يقول الله تعالى: (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) {آل عمران ١٧١}

الإعداد المعنوي:

والإسلام يعد المسلمين الإعداد المعنوي الكامل للجهاد في سبيل الله عن طريق وصلهم بالله تعالى وتمسكهم بقيم الإسلام وبوضوح الهدف من القتال ضد أعداء الإسلام وتأكيد أن النصر ليس غاية في ذاته ثم التحريض على القتال والإعداد الكامل للمعركة.

هكذا يتبين لنا أن الحرب في الإسلام كان أمرًا لابد منه لإقامة الحق وإبطال الباطل ولا يمكن أن تتم الدعوة إلى الله تعالى إلا إذا أزيلت الحواجز البشرية حتى تبليغ الرسالة، فالله تعالى أرسل رسوله وأنزل كتابه فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، ثم إن الحروب في الإسلام حروب مثالية تعلم الإنسان المحارب أن يحترم إنسانية عدوه فهدف المسلم إحقاق الحق وإبطال الباطل.

والجهاد في سبيل الله عبادة قد يكون ثوابها أكبر من ثواب الصلاة والزكاة والصيام والحج لأن الهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، وقد وضح القرآن الكريم أهداف الجهاد في سبيل الله فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة ١٩٣}.

وقد استبدل الإسلام نظرية الكم بنظرية الكيف في الجهاد فالروح المعنوية العالية تعطي صاحبها مناعة ضد الحرب النفسية فلا تؤثر فيها أحرج المواقف، فسورة الأحزاب مثلًا تعطينا صورة لأصحاب الروح

المعنوية العالية فقد أشيع أن الأحزاب قد أقدموا من كل جانب بقوات لا يقدر أحد على مقاومتها فما زادهم ذلك إلا إيمانًا، يقول الله تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا(٢٢)) {الأحزاب ٢٢}، وقال الله تعالى: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ(١٧٤)) {آل عمران ١٧٢ – ١٧٤}، وهكذا نجد أن القتال في الإسلام هدفه السامي الذي حدده الله تعالى ليرفع به من مستوى الإنسانية وليقيم العدالة في هذه الأرض.

وقد اشتهر المسلمون بأنهم يحررون الشعوب من عبادة الحكام وظلمهم فكانت الشعوب تفتح للمسلمين صدورها وتتعاون تعاونًا كاملًا، يقول مونتو جمري:"إن المسلمين كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون إليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة فزاد إيمان الشعوب بهم".

دور الصوم في الجهاد:

الصوم صلة وثيقة بين العبد وربه فقد فرضه الله تعالى ليصل المسلم الصائم إلى مرحلة التقوى التي تؤهله لأداء وظيفته في هذه الحياة وهي عمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

وفي رمظان تقوى الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن وبصلاة القيام، والصائم يجد الجزاء القريب في اللفتة القرآنية التي بين آيتي الصوم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٦)﴾ {البقرة ١٨٦}، فهذه اللفتة موجهة إلى أعماق نفس المسلم الصائم، والصائم المحتسب لا يجد في نفسه اضطرابًا ولا انزعاجًا بل يكون راضيًا محتبسًا مطمئنًا هادئًا، والمسلم قبل أن ينطلق إلى الجهاد في المعركة مع الأعداء يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر مع نفسه ومع الشيطان ومع المجتمع غير الملتزم، ولم يكن من المصادفة أن يفرض الصوم في العام الذي فرض فيه الجهاد في سبيل الله لرد العدوان ونشر الإسلام، فالصوم هو تقرير الإرادة العازمة ومجال اتصال المسلم بربه اتصال طاعة وانقياد.

والجندي الذي يؤخذ إلى ميدان المعركة بدون إعداد نفسي وعقلي وجسمي هو جندي فاشل، ولذلك فإن صوم رمضان يعطي المسلم المجاهد في سبيل الله دفعة معنوية قوية تجعله قادرًا على أن ينتصر على أعدائه انتصارًا فتكون هذه المعركة الرمضانية معركة فاصلة بين الحق والباطل تظهر الإسلام وتبطل الكفر.

ومن أهم المعارك الرمضانية الفاصلة في تاريخ الإسلام:

معركة بدر الكبرى وكانت في العام الثاني من الهجرة.

فتح مكة وكان ذلك في العام الثامن من الهجرة.

معركة القادسية وكانت في عام ١٥هـ.

فتح الأندلس وكان ذلك في عام ٩٢هـ.

معركة ملاذكرد وكانت في عام ٤٦٣هـ.

معركة الزلاقة وكانت في عام ٤٧٩هـ.

معركة حطين وكانت في عام ٥٨٣هـ.

معركة عين جالوت وكانت في عام ٦٥٨هـ.

معركة العاشر من رمضان وكانت في ١٣٩٣هـ.

التوازن في التربية الإسلامية

التوازن في كل شئون الحياة هو القاعدة الكبرى في التربية الإسلامية، ذلك لأن الإسلام يرى أن الغلو كالتفريط كلاهما يخل بمصلحة الفرد كما يخل بمصلحة المجتمع على حد سواء، وبالتالي فإن الفرد أو المجتمع لا يستطيع كل منهما أن يحقق رسالته في هذه الحياة مع أن للمسلم وللمجتمع الإسلامي رسالة سامية هى عمارة الأرض طبقًا لمنهج الله سبحانه وتعالى، فهو الذي خلقه وكرمه ليحقق خلافة الله تعالى في هذه الحياة.

ويبدأ التوازن من نظرة الإسلام إلى الفرد فهو يعترف بقيمته ويحمله المسئولية فردًا، قال تعالى: (وَكُلُّهُم آتيهِ يَومَ القِيامَةِ فَردًا(٩٥)) {مريم ٩٥}.

ومن نظرته إلى المجتمع الذي يتكون من أفراد ذوي اهتمامات وذوي شعور داخلي وهم مسئولون عن المجتمع الذي يعيشون فيه وعن عمارة الكون، وإهمال بعض أفراد المجتمع قد يؤدي إلى هلاك الجميع، كما بين ذلك الحديث الشريف الذي رواه البخاري ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا)).

ومن هنا نجد أن الإسلام لا يتطرف في الفرد على حساب الجماعة فالفرد عضو في جماعة متحددة في الهدف وفي العمل وترتبط في النهاية بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[٢]) {المائدة ٢}.

وفي الوقت نفسه فإنه لا يسحق الفرد ولا يهمل وجوده ولا يجعله مجرد ترس في آلة كما ترى بعض المذاهب في المجتمعات الغربية

الحديثة، ويتمثل التوازن أيضًا في الطاعة لله سبحانه وتعالى والايجابية بالنسبة للبشر.

والطاعة بالنسبة لله سبحانه وتعالى معناها التسليم المطلق له والامتثال الكامل لأوامره ذلك لأن الله هو الخالق وهو الرحيم، والطاعة لذلك ينبغي أن تكون طاعة الحب والإجلال، وفي ذلك يقول الله وتعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣١)) {آل عمران ٣١}، بل إن المسلم يستمد إيجابيته الكاملة تجاه الأشخاص والأحداث والأشياء من تسليمه لله تعالى.

ورسالة المسلم تظهر في السلوك وفي العبادات بمعناها الإسلامي الذي يتمثل في أن الدنيا كلها معبد للمؤمنين، ولذلك فإن الرسول ﷺ يقول: ((إن من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ويكفرها السعي على العيال))، وفي قوله ﷺ ((لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خير من أن يعبد الله شهرًا في مسجدي هذا)).

والتربية الإسلامية تأخذ الإنسان كما هو فتعني به من الناحية الروحية ومن الناحية العقلية ومن الناحية الجسمية بدون أن تطغى ناحية على أخرى حتى يكون صالحًا لأداء رسالته في هذه الحياة، وبذلك يكون قادرًا على الاتصال بالله سبحانه وتعالى، وقادرًا على التعرف على أسرار الكون، وقادرًا على عمارة الأرض واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازنًا في مقومات الإنسان.

ولابد من ملاحظة أن الإنسان في أية لحظة هو مجموع عناصر متكاملة (الروح والجسم والعقل) ولا يمكن فصل واحد عن آخر وبمجموع هذه الطاقات بتكون الكيان الإنساني.

الروحية في الميزان:

وعن طريق الروح يمكن أن يتصل الإنسان بالله تعالى مباشرًا، فقد أوجد فيها الحيوية والإشعاع الذي يستطيع أن يتصل به عن طريق هذه الطاقة، وهدف التربية في الإسلام وصل القلب البشري بالخالق سبحانه وتعالى وتصفيته وإعطاءه الشفافية التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وحين يكون المسلم قوي الصلة بالله تعالى فإنه يرتفع إلى مرتبة الإحسان في النية وفي العمل على حد سواء.

وحين عنيت بعض الديانات بالناحية الروحية وحدها، كالهندوكية والبوذية، فإنها لم تستطع أن تؤدي وظيفتها في هذه الحياة، وكذلك المسيحية المحرفة حين حاولت أن تكبت نزعات الإنسان لتعلو روحانيته، كانت رؤيا في عالم المثال المجرد يلوح للبشر بدون أن تكون قادرة على عمارة الأرض، وكيف يتحقق ذلك وهم في أديرتهم يعبدون الله على طريقتهم السلبية فهم لا يتزوجون ولا يعملون خارج الأديرة.

والصوفيون في الإسلام منهم من غلّب الروح وقالوا: "إن الطريق إلى الاتصال بالله يكون بالصلاة والذكر، وحين اقتصروا على ذلك عزلوا أنفسهم عن الحياة وعن العمل وعن المجتمع، وراحوا يذكرون الله بالأسلوب الذي اختاروه لأنفسهم ظنًا منهم أنه الأهم".

وهذه المغالاة لا توجد في التربية الإسلامية لأنها تكون على حساب جوانب أخرى لا يمكن إغفالها، وبذلك لا يستطيع المسلم أن يعمر الأرض، مع أن عمارة الأرض هى لب عبادة المسلم لأن الله تعالى يقول: (هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها) {هود ٦١}، كما لا يستطيع أن يجاهد فيها والله تعالى يقول: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) {الحج ٧٨}، ولا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر والله تعالى يقول: (وَالمُؤمِنونَ وَالمُؤمِناتُ بَعضُهُم أَولياءُ بَعضٍ يَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَيُطيعونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ) {التوبة ٧١}.

بل أكثر من هذا فإن التربية في الإسلام تعتبر المسلم الذي لا يفجر ينابيع الأرض ولا يستغل طاقات الكون المسخرة له عاصيًا لله تعالى ناكثًا عن القيام بوظيفته، ولعل الحديث الآتي يكشف لنا بوضوح حقيقة عبادة الله تعالى حين يتسع الأفق في الفهم وفي السلوك على حد سواء ليحقق الرسالة التي ندب الله تعالى عبادة لها، فقد روى الستة عن أنس ﷺ ((كنا مع النبي ﷺ في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلًا في يوم حار أكثرنا ظلًا صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال الرسول ﷺ: ذهب المفطرون اليوم بالأجر))، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ لرجل حين رآه يظهر النسك ويتماوت: "لا تمت علينا ديننا" وذلك بعد أن خفقه بالدرة.

وطريق الفرد لا يختلف عن طريق الجماعة في التربية الإسلامية، والفرائض التعبدية ما هى إلا تجديد للعهد مع الله سبحانه وتعالى على الارتباط بمنهجه الكلي في الحياة وهى قربى إلى الله تعالى يتجدد معها العزم على النهوض بتكاليف هذا المنهج الذي ينظم أمر الحياة كلها.

استخدام العقل:

وكما عنى الإسلام بالناحية الروحية فإنه قد عنى بالناحية العقلية فهو يربي العقل البشري ويستخدمه في كل ما يصلح له، وطريقة التربية للعقل البشري تكون بتدريبه على الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهو يربطه بخالقه كما يربط القلب ويحرص الإسلام على هداية العقل البشري إلى التوحيد وهو الحقيقة الكبرى في هذا الوجود.

وطريقة العقل في الصلة بالله تعالى وتعمير الكون تكون عن طريق المشاهدة والملاحظة والتجربة والقياس والاستنباط، وأدوات ذلك الحس، قال تعالى: (قُلِ انظُروا ماذا فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ) {يونس ١٠١}، والله سبحانه وتعالى يسر للعقل البشري أن يتعلم ليعمر الأرض، والعقل من أعظم أدوات هذه العمارة والإسلام يوجهه لمعرفة هذه السنن، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(١٥)) {الملك ١٥}.

وعقل المسلم أوسع من عقل الإنسان في الحضارة الغربية الحديثة لأن المسلم يستخدم عقله طبقًا للمنهج الإلهي الذي أرشده إلى عمارة

الأرض وتبقى صلة الروح وصلة العقل بالله تعالى فتستقيم الأمور في الأرض، والحضارة الغربية تعني بالعقل وحده وتجعل له السيطرة الكاملة على الحضارة المعاصرة، بل لقد جعلت العقلانية بديلًا عن الإلهام، وادعى سارتر أن العقل أثمن ما في الإنسان وأنه قد بلغ سن الرشد وأن له أن يحكم البشرية بمعزل عن الوحي، ولم يقل لنا سارتر أي عقل هذا الذي يتحدث عنه ؟ ونحن نرى العقول به الغربية لا تتفق على شيء، بل وتتناقض حتى في البديهيات، والحقيقة أن الذي يقول به سارتر إنما هو تعبير عن مخطط يهودي ذلك لأن اليهود رأوا في الجانب الروحي الذي يتصل بالعقيدة سواء أكان ذلك في النصرانية أم في الإسلام أنه يظهر اليهود على حقيقتهم ويكشفهم أمام الناس، وهم لا يريدون ذلك وإنما يريدون أن يحققوا تفوقهم على البشرية وحينئذ يتحكمون في مقدراتها، ولذلك قال سارتر في كتابه "اليهود أعداء السامية": (طالما أن البشر يتبعون العنصر الإلهامي في الإنسان المتصل بالعقيدة فسيحدث تميز محجف باليهود ولا يزول هذا التميز المحجف إلا إذا ألغينا من حياتنا الجانب الإلهي، ذلك لأنه في الجانب العقلي يستوي الناس جميعًا).

والغرب حين سار على المنهج وترك للعقل أن يشرع جاء بالمتناقضات، فقد جاء بالشيوعية كما جاء بالرأسمالية وهما متضادان، ومع هذا فإن العقل يحاول أن يبرر هذا التناقض، ثم إن إلغاء الغرب الروحية جعل العقل البشري يستخدم العلم في محاربة العقيدة وإفساد الأخلاق ولا يزال يجني من أثار ذلك قلقًا واضطرابًا وفقدانًا للسعادة بل وعنفًا وانتحارًا إلى غير ذلك مما يحدث في الغرب على مرأى ومسمع من الناس جميعًا.

طاقات الجسد:

والإسلام عنى أيضًا بتربية الجسم سواء بوصفه أعصابًا أو بوصفه محلًا للشهوات وهو جزء من كيان الإنسان ونحن نلاحظ أن من المجتمعات البشرية من يحقر الطاقة الجنسية ويقول أنه لابد من كبتها والانعزال في الأديرة كما نرى في المسيحية والنوم على المسامير ومع الثعابين كما نرى في الهندوكية، وهذا انحراف عن الفطرة ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يكبت هذه الطاقة ما خلقها كما أنه لو أراد لها أن تنطلق بلا حدود ما خلق لها الطاقة الروحية التي ترفع من هبوطها ولما جعل لها ضوابط وكوابح.

وهناك من ينظر إلى الإنسان من خلال حاجاته المادية وحدها كالحضارة الغربية، ونحن نرى في الحضارة الغربية المعاصرة من يعني بالجسد وينشئ من الألعاب ما يقويه وتقام لذلك مهرجانات كمال الأجسام التي يقف فيها رجال يستعرضون أجسامهم مفتونين بها وذلك لون من ألوان عبادة الأجسام لا يقرها الإسلام.

لكن الإسلام حين يقوي عضلات الرجل فإنه فعل ذلك ليكون أقدر على أداء رسالته في هذه الحياة وليس في الإسلام استعراض من أجل الاستعراض بل من أجل تحقيق غاية الوجود الإنساني، والإسلام يربي الجسد أيضًا بوصفه معينًا يحمل الشهوات.

والجسد هو مجموعة من الطاقات والرغبات وهى أدوات الخلافة، والتربية الإسلامية تربي المسلم على أن يكون متوازنًا بين دوافعه وضوابطه لكي يقوم بدوره المطلوب منه، ولولا الضوابط لشهوات الجسم والنفس لما أستطاع أن يقوم بدور الخلافة في عمارة الأرض.

ومن التوازن الذي تعنى به التربية الإسلامية أن يكون المسلم وسطًا في كل أعماله فعليه ألا يقصر في واجبه نحو نفسه ولا في واجبه نحو أهله ولا في واجبه نحو مجتمعه، ولعل هذا يتضح بجلاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه الذين أرادوا أن يسيروا على أسلوب العبادة بمعناها الضيق: ((إن لبدنك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا وإن لربك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه)) البخاري، وبهذا يحقق التوازن بين هذه الواجبات كلها.

ومن التوازن أيضًا أن يكون الإنساني وسطًا في الإنفاق فلا يكون مسرفًا ولا مقترًا وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطها كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلومًا مَحسورًا(٢٩)){الإسراء ٢٩}.

مخاطبة كل المستويات:

والإسلام بذلك يخاطب الكينونة البشرية في كل مستوياتها ولا يفرد كل جانب من الجوانب الكل متناسق بحديث مستقل كما تفعل الأساليب البشرية، بل إنه يعرضها في سياق موصول يرتبط فيه عالم الغيب بعالم

الشهادة وتتصل فيه الدنيا بالأخرة وتعطي لكل جانب من جوانبه الحقيقة مساحته التي تساوي وزنه الحقيقي في ميدان الله تعالى، وبذلك يتجرد المسلم من روح الأنانية، يقول الرسول ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) متفق عليه، وهذا الحب يجعل الإنسان يعيش في أمن وأمان واطمئنان وصحة نفسية جيدة، وقد تنبه إلى ذلك رينيه دوبو فقال: (كل شواهد الطب النفسي تشير إلى أن عضوية الإنسان في جماعة أو مجتمع تقوية وتمكنه من الإبقاء على توازنه) وهكذا تحدث التربية في الإسلام التوازن في طاقات الجسد كلها وينظر الإنسان على الكون والحياة هذه النظرة الشاملة التي لا تعدد فيها ولا انفصام.

وقد تنبه إلى أهمية هذا التوازن المؤرخ لن هوايت الاين فطلب أن يتجه الغرب إلى نظرة جديدة نحو طبيعة الإنسان وقدره، ورأى أن الأمل الوحيد لإنقاذ العالم هو الاتجاه الديني العميق الذي قال الفرنسسكان في القرن الثالث عشر وهو الترابط الروحي والعضوي بين أجزاء الكون.

وهكذا كانت الأمة الإسلامية أمة متوازنة في التصور والاعتقاد، متوازنة في التفكير والشعور، متوازنة في التنظيم والتنسيق، متوازنة في الارتباط والعلاقات، تزاوج بين تراثها الروحي ورصيدها العقلي وتسير بها على الصراط السوي، وصدق الله العظيم القائل: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) {البقرة ١٤٣}.

عناصر العلاقات الإنسانية

في المجتمع الإسلامي

الأمة المسلمة في هذه الحياة تهدف إلى عمارة الأرض طبقًا لتعاليم الإسلام وإلى إقامة العدل فيها وتحقيق الأمن والمساواة بين المجتمعات المختلفة، وبذلك تكون الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس، وبذلك تكون حياة المسلم لها أهميتها الكبرى ولها قيمتها العظمى، ولكي يستطيع المسلم في الحياة أن يحقق وظيفته فلابد وأن تكون العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي قائمة على قواعد راسخة هى الأخوة في الإسلام بمعناها الإسلامي والتي قال القرآن الكريم فيها ﴿إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ {الحجرات ١٠}.

وهذه الأخوة تتطلب من المسلم ألا يظلم أخاه ولا يسلمه وأن يكون دائمًا في حاجته وأن ينفس عنه كربه على قدر استطاعته، وقد وضح الرسول ﷺ حق المسلم على المسلم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ في قوله: ((حق المسلم على المسلم ست، قيل وما هى يا رسول الله ؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجابه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)).

ومن شجرة الأخوة في الإسلام تمتد الفروع التي تثمر ألوانًا من العلاقات السوية بين المسلم وأخيه تجعل المجتمع الإسلامي في النهاية

كيانًا عضويًا واحدًا قادوا على أداء وظيفته في هذه الحياة مع إحساس كل فرد من الأفراد بالراحة والطمأنينة والسعادة.

إنه تواد وتعاطف وترام ينتج الرابطة الوثيقة والوحدة القوية التي تجعله مثلًا أعلى للمجتمع السليم إنها إنسانية يحيطها الإسلام برعايته وعنايته وتوجيهاته، روابط تمثل شبكة سليمة ترابطت خيوطها وتداخلت في نسيج واحد إذا اهتز خيط منها اهتزت له سائر الخيوط وهى بهذا تكون إطارًا من العواطف والقيم والأخلاق التي تجعل من المجتمع وحدة متماسكة كل فرد فيه يمثل لبنة في بناء المجتمع، ذلك لأن ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)) "رواه الشيخان"، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)) "الشيخان".

ومن أهم عناصر العلاقات الإنسانية التي تحقق أهداف المجتمع الإسلامي في هذه الحياة:

أولًا: المحبة:

المحبة تعني ميل المسلم إلى أخيه المسلم ورغبته في صحبته وحرصه على كل ما ينفعه في الدنيا ويسعده في الآخرة ومن مظاهر حب المسلم لأخيه المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكره لأخيه ما يكره لنفسه.

والمسلم الذي يجد حلاوة الإيمان في إيمانه هو المسلم الذي يحب أخاه في الله ويوضح ذلك في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)).

وهذا الحب لا يقوم على العاطفة وحدها، بل يقوم على العاطفة وعلى العقل معًا، ومعنى ذلك لابد وأن يكون عادلًا إذا ما حدثت مشكلة بين مسلم ومسلم أو بين مسلم وغير مسلم.

قالها رب العزة سبحانه وتعالى واضحة صريحة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)) {المائدة ٨}، وقال أيضًا: (وَإِذا قُلتُم فَاعدِلوا وَلَو كانَ ذا قُربى) {الأنعام ١٥٢}، وبهذا تتميز الأخوة في الإسلام والمحبة الروحية عن الأخوة في الحضارة الغربية والمحبة المادية، فعلاقات المجتمع الإسلامي تقوم على العدل والمعاملة بالمثل مع الناس جميعًا، وبهذا تميز المسلمون على غيرهم في القديم وفي الحديث حين يتمسكون بالإسلام في كل المجالات.

وبهذا يتضح لنا أن المسلمين مطالبون بقيادة الدعوة إلى الله والتبشير بهذه المفاهيم في العالم كله لأنه يقر بوحدة الأصل الإنساني وبما يترتب على ذلك من شعور بالإخاء العام بين الناس، ويترتب على تلك الدعوة أن تتعارف الشعوب وتسلك السبل التي تحقق هذه الوحدة

وتتجنب المسالك التي حالت وتحول دون تحقيق هذا الهدف، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ {الحجرات ١٣}.

وبهذا يتضح لنا أن الإسلام يصنع من المسلم إنسانًا لا يرى نفسه وحده في الدنيا، وإنما يرى إخوته المؤمنين جميعًا يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، بل إنه يرى الناس جميعًا أخوته في الإنسانية يحب لهم الخير في كل صوره ولا يضمر شرًا لأحد ولا يحمل لأحد ضغينة.

والمسلمون الذين يصلون إلى هذا المستوى من الحب، بشّرهم رب العزة بمكانة عالية يوم القيامة، ففي الحديث عن عمر رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ((إن من عباد الله إناسًا ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله فخبرنا من هم: قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ﴾ {يونس ٦٢}"رواه أبو داود".

ثانيًا: التعاون:

الإنسان المسلم الذي يحب أخاه حبًا إسلاميًا كاملًا لابد وأن يتعاون معه في الإطار الإسلامي الذي حدده القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {المائدة ٢} فهو تعاون يؤدي إلى الخير أسلوبه سليم وغايته سامية.

ويحدد الحديث الشريف ألوانًا من التعاون التي تجعل كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحس بالأمن والأمان والراحة النفسية والاطمئنان القلبي لأن ما فيه من ثغرات قد سدت بوساطة المسلمين وما فيه من مشكلات قد حلت بوساطة الأخوة، والمسلم الذي يتعاون بهذا الأسلوب هو المسلم الذي يجد المعونة من رب العزة في الدنيا وفي الآخرة، يقول رسول الله ﷺ: ((من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)) رواه مسلم والترمزي.

ومن أساليب التعاون بين المسلم وأخيه المسلم نقل في صنعة أو حرفة إلى من هو في حاجة إليها، وأن يعين أخاه في فهم ما عسر عليه ويسره الله تعالى إليه، ونصرة المظلوم، وإنصاف الضعيف، ورد الظالم عن ظلمته، وإرشاد الرجل أخاه في أرض الظلال، وبصر الرجل الرديء البصر لأخيه، وإفراغ المسلم فى دلو أخيه .. وهكذا.

فالتعاون يشمل كل شيء في الحياة يفيد المسلمين أفراد وجماعات، وبالتعاون يمكن القضاء على المعوقات التي تعترض الأفراد بإمكاناتهم المحدودة كما تعترض الجماعات التي لا يمكنها أن تسير في الطريق السليم نظرًا لحاجتها إلى معونات المجتمعات الأخرى الإسلامية في

صورها المتنوعة، والتعاون بذلك يتيح للجهود الفردية تضافرها ويمنحها من الفاعلية والمقدرة ما يضاعف مجهودها، كما يتيح للجهود الجماعية قوتها ووصولها إلى أهدافها التي تمكنها من أداء وظيفتها في هذه الحياة، وقد يصل التعاون إلى مرحلة الإيثار الذي يجعل المسلم يفضل أخاه على نفسه، وهذه منزلة سامية يصل إليها من تفوق على نفسه ذلك لأن الإيثار شموع تضيء لغيرها ولا تحترق فالمؤثرون على أنفسهم شموع تضيء لغيرها ولا تحترق إنها دائمًا مشغولون بالآخرين.

والذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم لا يحقدون ولا يحسدون غيرهم على ما آتاهم الله من فضله، بل إنهم يفرحون لما يجدون من فضل الله تعالى على غيرهم، وقد مدح الله سبحانه وتعالى هذا الصنف من الناس وذلك في قوله تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) {الحشر ٩}، كما مدح الأبرار الذين قال إن صفاتهم أنهم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) {الإنسان ٨}.

ثالثًا: التسامح:

التسامح يعني ميل المسلم إلى العفو عن المسيء والصفح عن المخطئ والتجاوز عن سيئات الناس، فالإنسان خلق ضعيفًا والمسلم الذي يستطيع أن يتغلب على ضعفه فإنه يصبح قويًا ذلك لأنه لا يرد بالمثل ولكنه يعفو ويغفر ويلتمس العذر لمن أساء إليه، بل إنه قد يصل إلى مرحلة أعلى من ذلك وهى أن يحسن إلى من أساء إليه مدفوعًا بالرحمة التي توارت في نفسه إشفاقًا وحنوا على غيره الذي أصابه بالضعف عاملًا يقول

النبي ﷺ في الحديث الذي روى عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ ((ألا أنبئكم بما يرفع به الله الدرجات، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك)) الطبراني.

وبذلك يصل إلى الصفح الجميل الذي يجعل الإنسان يحس بالراحة والسعادة حين يصفح عن غيره ملتمسًا الرضا من الله سبحانه وتعالى العليم بضعف الناس وما يعانون في هذه الحياة من ضغوط متنوعة، وقد وضح القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ {فصلت ٣٤-٣٥}.

وكان الرسول ﷺ هو القدوة في ذلك، ومن ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس الذي قال: ((كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك فإن المال ليس مالك ولا مال أبيك، فالتفت إليه ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء)).

والتسامح يتم حتى مع غير المسلمين فالاختلاف مستمر في الحياة ما دام في الدنيا بشر لهم عقول وأفئدة تختلف في اتجاهاتها وطرق تفكيرها ويؤثر فيها من العوامل ما لا يحيط بعلمه إلا الله سبحانه وتعالى،

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ادعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ (١٢٥)﴾ {النحل ١٢٥}.

فالتعايش السلمي مطلوب وهو موقف لا عدوان فيه ولا إكراه في الدين معه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾ {العنكبوت ٤٦}.

وحين يحقق المسلمون هذه العناصر في المجتمعات الإسلامية فإن الروح الجماعية تنمو والتعاطف السليم يسمو والصلة الفكرية والنفسية والروحية والشعورية والاجتماعية تقوى، وبذلك يتعود المسلمون الالتقاء على الخير والبر والتقوى ويبتعدون عن الأثم والعدوان ويسير المجتمع الإسلامي في طريق النظافة المادية والمعنوية ويحس المسلمون بالهدوء والراحة، وبذلك يعملون على تحقيق وظيفتهم في هذه الحياة فيدخل العالم كله في سلام مع النفس ومع غيرهم ومع الكون الذي يعيشون فيه، فلا يكون هناك قلق ولا حيرة ولا صراع في الحياة المادية حيث تداس فيه القيم والحرمات بلا تحرج ولا حياء، وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ (١٥٣)﴾ {الأنعام ١٥٣}.

الذوق الجمالي في التربية الإسلامية

الذوق الجمالي تعبير يقصد به صفاء النفس واستمتاعها بالتأمل الهادئ الذي يريح الإنسان ويجعله يحس بالاطمئنان، والإسلام يربط الذوق الجمالي بأصوله الإيمانية لأنه إذا تجرد من الإيمان والأخلاق أصبح آفة خطيرة على المجتمع الإسلامي كله، إلى جانب أنه يكون تشويها للقيم الجمالية الإسلامية وهبوطًا بالإحساس الجميل في الإنسان إلى درك الحيوانية لأن ماديات الحياة كثيرًا ما تطغى على معنوياتها.

والذوق الجمالي من أهم العناصر الديناميكية في الأمة الإسلامية ذلك لأنه يحرك الهمم إلى التدبر في ملكوت الله فيشعر المسلم بالجمال الذي يؤثر فيه داخليًا ويجعل سلوكه على أساس من رقة الإحساس وقوة العاطفة، قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)) {ق ٦-٧}، وهذا يدعوا المسلمين على أن ينظروا إلى مصلحة الجماعات البشرية كلها إلى جانب مصلحة المجتمع الإسلامي ومصلحتهم الخاصة، بل لقد شمل هذا غير بني الإنسان من المخلوقات.

والإحساس الجمالي يغذي الوجدان والرغبات المكبوتة داخل النفس، ولذلك فإنه يجدد طاقات الإنسان ويبعث في النفس السرور والارتياح فيرتقي الوجدان وتتهذب الانفعالات، وكل هذا يساعد على قوة الإرادة وصدق العزيمة فيؤدي المسلم ما عليه من واجبات في راحة نفسية واطمئنان قلبي، وأسعد لحظات القلب البشري تلك اللحظات التي يتقبل

فيها الرجال الإبداع الإلهي في الكون فذلك يهيئه للاتصال بالخالق سبحانه وتعالى.

وبالذوق الجمالي يجد الإنسان في نفسه ميلًا إلى العمل الجاد والهادف المتقن في كل شيء حتى يصل إلى مرحلة الإحسان الذي تصحبه مشاعره الإنسانية، كما يصحبه الإحساس بالخالق في قرارة الضمير والعمل فهو يراقب الله في كل ذلك من أجل إؤضاء الله تعالى، وذلك يحقق وظيفته في الحياة فيدخل إلى النفوس من أعماقها ويوجهها إلى الإحساس بالمشاعر والإحسان في الأفكار والإحسان في الأعمال، وحينئذ تتهذب الانفعالات وينظفه السلوك فيلتقى الإنسان والكون والحياة في نظرة واحدة شاملة، ومن هنا كان الحديث الشريف عن الإحسان: ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) "رواه مسلم"، وحينئذ يستقيم أمر الحياة كلها.

ولكن ذلك لا يتحقق إلا بالمران والصبر والدأب والعمل الجاد والإبداع والتلقي الدائم عن الخالق سبحانه وتعالى لضبط العمل وتروجيهه، والإبداع في مسالكه المستقيمة التي تجعل الإنسان يعيش في طاعة الله خالقه الذي استخلفه على الأرض، فالمسلم يبني لأهداف يحققها كل فرد في حياته كما أنه يبني لما بعد الحياة، بل إن بناءه للحياة هو بناء كما بعدها ما دام المسلم يريد بعمله وجه الخالق سبحانه وتعالى، وبذلك تتحقق سعادة الفرد والمجتمع.

والتربية الإسلامية تربي المسلم على الذوق الجمالي، وتوجه القلوب والأفكار إلى كتاب الله المفتوح (الكون) ليحس بما فيه من جمال، وتوجهه إلى المشاهد الكونية الرائعة التي تدل على إبداع الخالق، وتظهر في مشهد السماوات والأرض، ومشهد اختلاف الليل والنهار فهى صور تهز المشاعر وتجعل الإنسان يحس بالتناسق والانسجام والجمال في كل ما في الكون، ثم في صلة الإنسان بالكون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ {آل عمران ١٩٠}، فالحق قوامه وقانونه وأخلاقه، وبذلك يستمتع المسلم بالجمال فتصفو سريرته، ويلتقي عنده الفن بالعقيدة، كما تلتقي المتعة الحسية بالمتعة الروحية، وتزول الحواجز النفسية من نفسه، ولأنه وسع أفقه واتصل بالله وهذا يجعله يعيش في سعادة وراحة، ويؤدي رسالته الإنسانية التي خلقه الله تعالى لها.

مقارنة بين جمالين:

والذوق الجمالي غير الإسلامي يهتم بالجمال الحسي فقط لذلك فإن النتائج تكون عكسية، ففي الجاهلية كان العرب يطوفون بالبيت عرايا فلما رأوا المسلمين يطوفون بالبيت مكسوين اعترضوا، ولكن المسلمين وضحوا لهم أن العرى الحيواني لا يعتبر إلا تخلفًا في القيم، ولذلك فإن المسلمين يطوفون حول البيت في زينة وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها

وذلك هو الجمال الحقيقي، قال الله تعالى: (يا بَني آدَمَ قَد أَنزَلنا عَلَيكُم لِباسًا يُواري سَوآتِكُم وَريشًا وَلِباسُ التَّقوى ذلِكَ خَيرٌ) {الأعراف ٢٦}، وطلب من المسلمين أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، قال الله تعالى: (يا بَني آدَمَ خُذوا زينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ) {الأعراف ٣١}، فاللباس الحسي يستر عورات الجسم، والجمال المعنوي (التقوى) يستر عورات القلب.

والحضارة الغربية تهتم بالجمال الحسي فقط، ولذلك فإن النتائج تكون عكسية، يقول الكاتب الإنجليزي الكبير (تشارلز لايب): " أليس غريبًا أن تشيخ أرواحنا قبل أن يخط المشيب شعر رؤوسنا ؟".

والذوق الجمالي في التربية الإسلامية يشمل الجانب الحسي والمعنوي:

ففي الجانب الحسي: دخل رجل على النبي ﷺ وهو ثائر الرأس واللحية فأشار عليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل الرجل ثم رجع في هيئة حسنة، فقال النبي ﷺ: ((أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟))، وقد استنكر القرآن الكريم بأسلوب قوي على من يعترض على الزينة الحسية فقال الله تعالى: (قُل مَن حَرَّمَ زينَةَ اللَّـهِ الَّتي أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزقِ) {الأعراف ٣٢}.

وفي الجانب المعنوي: في الذوق الجمالي فإنه ينتشر في حياة المسلم فيشمل كل اتجاه وكل عمل ومن ذلك الصبر الجميل فقد فعل أخوة يوسف ما فعلوه به وجاءوا لأبيهم بدم كاذب على قميصه فلم

يصدقهم وقال لهم: (قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَميلٌ وَاللَّهُ المُستَعانُ عَلى ما تَصِفونَ) {يوسف ١٨}، صبر جميل يشمل الرضا بقضاء الله والأمل في لقاء الابن ..

وحين أرسل الله تعالى نبيه ﷺ وكذبه قومه طلب منه ربه أن يصبر صبرًا جميلًا لا جزع فيه ولا ضيق فقال: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا(٥)) {المعارج ٥}، وحين طلب يوسف عليه السلام وهو على خزائن الأرض من إخوته الذين لم يعرفوه أن يأتيهم بأخ لهم من أبيهم، وقالوا: (قالوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الكَيلُ فَأَرسِل مَعَنا أَخانا نَكتَل وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ) {يوسف ٦٣} قال لهم: (قالَ هَل آمَنُكُم عَلَيهِ إِلّا كَما أَمِنتُكُم عَلى أَخيهِ مِن قَبلُ) {يوسف ٦٤} وحين وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا: (قالوا يا أَبانا ما نَبغي هـٰذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّت إِلَينا وَنَميرُ أَهلَنا وَنَحفَظُ أَخانا وَنَزدادُ كَيلَ بَعيرٍ ذٰلِكَ كَيلٌ يَسيرٌ) {يوسف ٦٥}، فطلب منهم أن يعطوه موثقًا من الله ليأتونه إلا أن يحاط بهم، فلما أتوه موثقهم قال: (قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقولُ وَكيلٌ) {يوسف ٦٦}، ولكنهم عادوا بدون أخيهم نظرًا لما حدث من قصة صواع الملك الذي وجدوه في وعاء أخيهم، رجعوا إلى أبيهم وقالوا: (فَقولوا يا أَبانا إِنَّ ابنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدنا إِلّا بِما عَلِمنا وَما كُنّا لِلغَيبِ حافِظينَ (٨١) وَاسأَلِ القَريَةَ الَّتي كُنّا فيها وَالعيرَ الَّتي أَقبَلنا فيها وَإِنّا لَصادِقونَ) {يوسف ٨١-٨٢}، فقال لهم: (قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَميلٌ) {يوسف ٨٣}، ثم اتجه إلى ربه قائلًا: (عَسَى اللَّهُ أَن يَأتِيَني بِهِم جَميعًا إِنَّهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ) {يوسف ٨٣}.

ورسول الله ﷺ كان العرب في الجاهلية يسمونه الصادق الأمين، فلما أرسله الله تعالى برسالة الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كذبه قومه واتهموه بالتهم المختلفة، فطلب منه ربه سبحانه وتعالى أن يصبر على ما يقولون وأن يهجرهم هجرًا جميلًا لا ضيق فيه ولا عتاب معه، قال الله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) {المزمل ١٠}.

كما طلب رب العزة من نبيه أن يعرض عن قومه إعراضًا لا ضيق فيه لأن الله تعالى الخالق لكل شيء والعليم بكل شيء وأن يصفح عنهم الصفح الجميل: (فَاصفَحِ الصَّفحَ الجَميلَ) {الحجر ٨٥} وقد عفا الله عن قومه عامًا بعد عام فتح مكة وقال لهمﷺ: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)).

وحين طلب نساء النبي ﷺ منه أن يوسع عليهم في النفقة وكان هذا فوق طاقته، قال لهم: (إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) {الأحزاب ٢٨}، وقد وجه القرآن الكريم المسلمين إذا ما طلقوا نساءهم قبل الدخول عليهن أن يعطوهن المتعة وأن يسرحوهن سراحًا جميلًا، فقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٤٩)) {الأحزاب ٤٩}.

وفي العصر الحاضر نحس بأننا في حاجة ماسة إلى هذا الذوق الجميل حتى تطمئن نفوسنا وتستريح قلوبنا، وذلك لا يتم إلا بالعودة إلى الأصول الإيمانية في المجتمع الإسلامي فيتحقق التوازن الكامل ويأخذ

المسلمون المناعة الكاملة من كل ما يخالف الإسلام فيعيشون آمنين مطمئنين سعداء.

موقف الإسلام من الإيجابية والسلبية

ما معنى الإيجابية ؟ وما معنى السلبية ؟

الإيجابية معناها: أن يحمل الإنسان نفسه على فعل ما يجب أن يؤدي، ومعنى هذا أن الإنسان يلزم نفسه بأشياء ويوجب على نفسه أن يؤديها، ففي الإيجابية إعطاء وفيها قوة، وهى تدل على الثقة بالنفس وعلى العزيمة الفعالة.

والسلبية معناها: أن يحمل الإنسان نفسه على الانعزال عن المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يهتم بشئون غيره، بل إنه يتخلص من التبعات ويفر من المسئوليات ويلقيها على أكتاف غيره، ففي السلبية عجز وفيها أخذ، وهى تدل على ضعف الذات وتفاهة الشخصية وخور العزيمة، كما تدل على الأثرة وحب النفس، وإذا عرف ذلك فما موقف الإسلام من الإيجابية وما موقفه من السلبية ؟ ترى هل هو دين يدعو إلى الإيجابية ؟ أم أنه دين يدعو إلى السلبية ؟.

في التفكير وفي الإيمان بالله:

يحرص الإسلام على أن يكون المسلم إيجابيًا في تفكيره حتى يصل إلى ما يفيده، ولذلك فهو ينعي على من لا يفكر، والقرآن الكريم يقول في هذه الطائفة: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) {الروم ٨}، ويقول: (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) {البقرة ٢١٩}، ويقول: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الحشر ٢١}، كما ينبغي على الذين يلغون عقولهم لأنهم ورثوا عن آبائهم معتقدات فلا يحاولون تغييرها مع فسادها بل قالوا: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) {الزخرف ٢٢}، ورد عليهم القرآن الكريم بقوله: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) {الزخرف ٢٤}.

فالعقل هو نعمة الله الكبرى التي ميز بها بني أدم فإذا ألغى الإنسان عقله ولم يستخدمه في شئون الحياة فقد ألغى أهم نعم الله تعالى والحق نفسه بغير بني الإنسان من المخلوقات، ومن عجب أن يستخدم الإنسان عقله في شئون الحياة العادية كالزراعة والصناعة والتجارة فلا يقف عند ما كان يستخدمه آباؤه بل إنه يبتكر وسائل جديدة تفيده في تقدمه وفي حضارته وفي ارتفاع دخله الإنسان ومقياس تفكيره الحقيقي: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)) {الذريات ٥٦}، ومن هنا فقد اهتم الإسلام بهذه الناحية وكررها في القرآن الكريم كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)) {الإخلاص ١-٤}، وقوله تعالى (وَقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذوا إِلـٰهَينِ اثنَينِ إِنَّما هُوَ إِلـٰهٌ واحِدٌ فَإِيّايَ فَارهَبونِ (٥١)) {النحل ٥١}، وقوله: (وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا) {الأسراء ٢٣}، وحين تشد وطأة المشركين في تكذيب الرسول ﷺ وعدم اعترافهم بإله واحد، يهتف القرآن الكريم بهم طالبًا منهم أن يتفكروا وأن يتدبروا لعلهم يصلون إلى الحقيقة: (قُلْ إِنَّمَا

أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ[٤٦]) {سبأ ٤٦}، ويطلب القرآن الكريم من المشركين أن يتدبروا في أنفسهم ليروا من الذي خلقهم (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[٢١]) {الذاريات ٢١}، وهو في هذه الأية يبكتهم لأنهم يلغون عقولهم، ويضرب الأمثال الكثيرة لهم، مرة بمخلوقات في الأرض والسماء ومرة بما أصاب الأمم السابقة التي كذبت رسلها فنالها شر العذاب مثل أقوام نوح وهود وصالح وموسى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الحشر ٢١}، والقرآن الكريم يبين للناس أن الله سبحانه وتعالى قد للإنسان حواسه وهى نعم من الله تعالى فإذا لم يحسن الإنسان استخدمها فإنه مسئول عنها أمام الله تعالى: (إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا) {الإسراء ٣٦}.

والإسلام يبين للمسلم أن المطلوب منه هو الإيجابية البناءة ولا عليه بعد ذلك أن يكون النجاح قليلًا أو كثيرًا، وفي هذا يقول علي بن أبي طالب ﷺ : "لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم"، فهدية رجل واحد من المنظور الإسلامي لها أهميتها الكبرى، وليس للمسلم أن يستقل هذه النتيجة فهى رائعة وإن ظن غير ذلك.

وفي المجتمع الإسلامي لا يرضى الإسلام لفرد من أفراده ألا يكون له رأي مستقل، ولا يقبل منه أن يكون مع الناس في كل وقت من الأوقات فيعمل الشيء لمجرد أن الناس يعملونه، ويكف عن الشيء لمجرد أن الناس يكفون عنه، يقول الرسول ﷺ : ((لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع

النـاس، إن أحسـن النـاس أحسـنت، وإن أسـاءوا أسـأت، ولكـن وطنـوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم)) "رواه الترمذي".

والإسـلام يطلـب مـن المسـلم أن يجتهـد فـي الأمـور الجديـدة، وأن يعمل عقله في التفكير حتى يصل إلى النتيجة التي يرجوها، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، يقول الرسول ﷺ : ((من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد))، فحتى المخطئ لم يحرمه الله تعالى من الأجر لأنه فعل ما في وسعه فلن يحرمه الله تعالى من الأجر.

ولقد سُرّ النبي ﷺ من معاذ بن جبل بعثه إلى اليمين ليعلم الناس دينهم لأنه وجده إيجابيًا في تفكيره، فقال له: كيف تقضي يا معاذ إذا عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال ﷺ : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسول الله، قال ﷺ: فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال: أجتهد ولا آلوا، فقال النبي ﷺ: ((الحمد لله الذي وفق رسُولَ رسُولِ الله لما يرضاه)) "ابن حنبل وأبو داود".

الإيجابية في المجتمع:

الإسلام يطلب الإيجابية في المجتمع في كل ناحية من النواحي، وهو يبدأ أولًا ببيان حالة المسلمين، فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وهو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء

بالحمى والسهر، والقرآن الكريم لهذا يطلب من المسلمين أن يحققوا هذه المعاني فيقول: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) {آل عمران ١٠٣}، هذا المجتمع المتماسك المتحارب لابد وأن يسير في الطريق الذي يحقق هذه المعاني ويديمها، ولذلك فهو يطلب من المسلم أن يفشي السلام فيقول: ((أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) "الترمذي".

وتحية الإسلام (السلام عليكم) تحمل هذا المعنى الذي يريده الإسلام ويؤكده دائمًا، هذا المجتمع يطلب منه التعاون مع الناس، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) "صحيح مسلم".

هذه المعاني وضحت في موقف الأنصار مع المهاجرين، وذلك في المجال التطبيقي للتعاون الرائع بين المسلمين، لقد ذهب المهاجرين إلى المدينة فارين بدينهم تاركين أموالهم وكل ما يملكون، فما كان موقف الأنصار منهم ؟ .. لقد كان موقف الأنصار تطبيقًا رائعًا للروح الإسلامية الحديثة التي تسري في كيانهم، ذلك لأننا نعلم أن أحب الأشياء إلى الإنسان في هذه الحياة: المال والنساء، والنفس بطبيعتها شحيحة: (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ) {النساء ١٢٨}، وقال الله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

وَالْخَيْـلِ الْمُسَـوَّمَةِ وَالْأَنْعَـامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَـاعُ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَاللَّـهُ عِنـدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(١٤)) {آل عمران ١٤}.

ولكن الأنصار تنازلوا طائعين مختارين مؤثرين إخوانهم على أنفسهم، فقسموا أموالهم إلى قسمين وقالوا لإخوانهم من المهاجرين: اختاروا أحب القسمين إليكم، وكان الواحد منهم يقول: "انظر أي زوجاتي تحب فأطلقها لك".

هـذه الإيجابيـة الرائعـة قابلتهـا إيجابيـة أخـرى رائعـة حـين شـكر المهـاجرون إخـوانهم الأنصـار علـى هـذه الـروح، وفضـلوا العمـل لكسـب القوت بدلًا من أن يعيشوا عالة على إخوانهم الأنصار.

ويعدد الرسول ﷺ ألوانًا من الصدقات التي يتصدق بها كل مسلم في مجتمعه حتى يقول: ((وإماطة الأذى عن الطريق صدقة)) "البخاري".

هذا المجتمع المتماسك المتحاب لابد وأن يسير في طريق العدالة في أحكامه بين المتخاصمين، وفي الشهادة إذا ما دعي إليها، والمسلم مطالـب بـأن يفهـم أن هـذه الشـهادة لله تعـالى، فـلا يهمـه أن يكـون أحـد المتخاصـمين قريبًا أو بعيـدًا، فـالله تعالى هـو الـذي سيحاسـب علـى ذلـك، يقـول الله تعـالى: (وَإِذا قُلتُم فَاعـدِلوا وَلَـو كـانَ ذا قُربـى) {الأنعـام ١٥٢}، ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)) {المائدة ٨}.

والإسلام في كل حالة من الحالات يطلب النصيحة بحيث تكون خالصة لله تعالى، ويقول ﷺ: ((الكين النصيحة))، فيسأله الصحابة: لمن يا رسول الله، يقول ﷺ: ((لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) "مسلم".

والإسلام يقدر العلم ويطلبه لأنه مقياس رقي الإنسان ومقياس فهمه ومقياس حضارته، وله آثاره العميقة في نهضة المجتمع وفي أدائه لوظيفته التي خلقه الله تعالى من أجلها، يقول الرسول الكريم ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) "ابن ماجة"، ويقول: ((اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد))، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {الزمر ٩}.

والإسلام لا يهمه المال ولا الجاه ولكن يهمه العمل الخالص لله تعالى والإيجابية البناء، والرسول ﷺ يقولها صريحة للناس جميعًا: ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))، والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ {الحجرات ١٣}، لأن المهم في ميزان الإسلام إنما هو العمل الإيجابي لخير المجتمع الذي يعيش فيه المسلم.

لذلك فإن الرسول ﷺ يقول: ((يا فاطمة بنت محمد اعملي صالحًا فإني لا أغني عنك من الله شيئًا))، ويقول ﷺ في موقف أراد بعض الناس أن يتوسط في حد سرقة لشريفة من قريش هى فاطمة المخزومية: ((أتشفع في حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)) "مسلم"، ولننظر إلى قوله: (لقطع محمد يدها)، فهى ابنته وأحب

الناس إلى قلبه، ولكنه لن يوقف حد الله حتى ولو كان على ابنته، بل إنه سيتولى هو بنفسه تنفيذ حد الله تعالى عليها.

هذا المجتمع الإسلامي المتماسك لابد وأن يجد شذوذًا في بعض الأحيان من بعض أفراده فماذا يكون موقفه ؟ هل يكون موقفًا سلبيًا ؟ أم أنه يتخذ موقفًا إيجابيًا ؟ .. إن الإسلام بطبيعته لا يرضى الموقف السلبي، ومن هنا فقد جعل الإسلام الناس جميعًا مسئولين حيث يقول الرسول ﷺ : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته))، ويُفصِّل الرسول ﷺ بعد ذلك في قوله: ((الرجل راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في مال زوجها ومسئولة عن رعيتها، والولد في مال أبيه ومسئول عن رعيته)) ثم يختم الحديث الشريف بقوله: ((وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته)) "متفق عليه".

وقد شرع الإسلام لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين للمسلمين أن هذا ما يميزهم عن غيرهم من الأمم، يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ {آل عمران ١١٠}، فهم لم يكونوا خير أمة لأنهم أغنى الأمم ولا أكثرهم عددًا أو أعظمهم جاهًا، وإنما لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

والرسول ﷺ يوضح ذلك فلا يترك إنسانًا من غير أن يكون مسئولًا في المجتمع فيقول: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) "مسلم".

ولننظر إلى قوله (فبقلبه) فحتى الإنكار بالقلب إنكار إيجابي، إيجابي لأنه إنكار والرسول ﷺ يصف ذلك الإنكار بأنه أضعف الإيمان.

وينعي الرسول ﷺ على من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتعجب الصحابة ﷺ لأنهم لا يتصورون أن هذا سيحدث وهذا في قوله ﷺ : ((كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ فقالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال: أجل والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال: أجل وأشد منه سيكون، كيف إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال: أجل والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، يقول الله وأشد منه سيكون، يقول الله عز وجل لأفتنهم فتن تدع الحليم فيهم حيران)).

خطورة التَّرْك:

ويبين الرسول الكريم ﷺ خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا التمثيل الرائع الذي يشبه المسلمين بركاب سفينة واحدة بعضهم يسكن أعلاها وبعضهم يسكن أسفلها، إذا ما أرادوا أن يستقوا مروا على من فوقهم فقالوا: ولماذا نتعب أنفسنا ونؤذي جيراننا وما علينا لو أننا خرقنا في مكاننا خرقًا نشرب منه ولا نؤذي غيرنا، ويقول الرسول الكريم تعقيبًا على هذا: ((فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا، وإن تركوهم هلكوا جميعًا)) "البخاري".

ومن هنا فقد شرع الإسلام الحدود في الذنوب الكبيرة وهى التي تسيء إلى المجتمع وتنشر الفساد بين أفراده وتفرقه كالقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر، كما أعطى للحاكم حق التعزير في الذنوب التي هى أقل

خطرًا من الأولى، ذلك لأن الإسلام لا يرضى السلبية ولا يرضى لأبنائه أن يكونوا سلبيين، ومن زاوية أخرى لا يرضى الإيجابية التي تعود على المجتمع بالضرر.

وفي المعاملات يهتم الإسلام بأن يتعاون المسلمون تعاونًا إيجابيًا بناءًا فتقضى المصالح وتبقى المودة والتعاون، ففي الدَيْن لابد وأن تكون الكتابة إلى أجل مسمى، وأن يكون الكاتب عادلًا، وأن يملل الذي عليه الحق أو وليه إن كان عاجزًا حتى لا يضار، ولابد وأن يكون هناك شاهدان فإن وجد مانع فليكن رهن مقبوض، والغرض من هذه الإيجابية بقاء المودة وبقاء التعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي.

وإذا رأى المسلمون سفيهًا يتصرف في أمواله بلا حساب فعليهم أن يقفوا موقفًا إيجابيًا لأن هذا المال هو مال الله تعالى في الأصل ثم هو مال المجتمع كله بعد ذلك، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴿٥﴾﴾ {النساء ٥}.

وتمر بالمجتمع فترات تنقص فيها المواد التموينية، ترى ما العمل ؟ هل يحتكر بعض الناس الأقوات والأرزاق ؟ لا فإن المحتكر ملعون لأنه يتحكم في أقوات الناس، بل إن الإسلام يطلب من المسلمين البذل، وهو لذلك يضرب الأمثال ويشيد بالأشعريين في عملهم الرائع حيث يقول ﷺ: ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)) "البخاري".

والإسلام لا يحب الفوضى ولا يرضى بها، ولذلك فإن الجماعة لابد وأن يكون فيها قائد تسير خلفه ينظم شئونها ويوجه طريقها، ولهذا كانت الصلاة جماعة في المسجد بإمام تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

ولهذه الإيجابية التي تجعل المسلمين وحدة، يطلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يطيعوا القائد بغض النظر عن حسبه ونسبه ما دام سائرًا في الطريق الذي أمر الله تعالى به: ((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي على رأسه زبيبة)) "البخاري"، ويأبى الإسلام أن تكون الجماعة بدون قائد حتى ولو كانت قليلة العدد، يقول الرسول ﷺ : ((إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم)).

وهو بهذا يضع مبدأ هام من المبادئ الأساسية لنهوض الشعوب وقوتها فإن الفرقة في الرأي وعدم الالتزام تؤدي إلى الفرقة في الطريق الذي يسلك، وهذا يؤدي إلى الضعف عن طريق التصادم أو عن طريق التفرق، وإيجابية الإسلام تأبى هذا أشد الإباء.

العلاقات الخارجية:

وبالنسبة للعلاقات الخارجية مع غير المسلمين فإن الإسلام يقولها واضحة صريحة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة ٢٥٦}، ولكن الإسلام لا يرضى لأبنائه الموقف السلبي إذا اعتدى عليهم، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) {البقرة ١٩٤}، والدفاع يستلزم الاستعداد الكامل: (وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرينَ مِن دونِهِم لا تَعلَمونَهُمُ اللَّهُ يَعلَمُهُم وَما تُنفِقوا مِن شَيءٍ في سَبيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لا تُظلَمونَ[٦٠]) { الأنفال ٦٠}، والله تعالى بعد ذلك يضمن النصر للمسلمين ما داموا لا يهدفون في تحركاتهم إلا نصر الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) {محمد ٧}.

ومن الناحية التطبيقية انتصر المسلمون في كل معركة كان عددهم قليلًا وعدتهم قليلة، فقد انتصروا في بدر والخندق، وفي حروب الشام، والعراق وغيرها.

وفي الفقه الإسلامي نجد أبوانا كثيرة تنظيم هذه العلاقات في السلم وفي الحرب وفي الغنائم وفي الأسرى وفي المعاهدات وفي غير ذلك، وكلها تدل على إيجابية الإسلام التي جعلت فقهاء المسلمين إيجابيين يبحثون في كل جزئية من جزئيات هذه الأبواب وقد وفوها حقها في البحث الدقيق.

هذه الإيجابية البناءة جعلت بناء الأمة الروحي والاجتماعي والسياسي الذي لم يستغرق بناءه سوى نصف قرن من الزمان ظل يقاوم جميع الآفات التي تسللت إليه وجميع العداوات التي أحاطت به وجميع الغارات التي شنت عليه أكثر من ألف عام.

لقد ظلت هذه العوامل الرهيبة تتسلل إليه وتهاجمه ووراء ذلك قوى العالم الجاهلي فلم تستطيع أن تحطمه من أساسه، ولكنها مع تطاول الزمان ومع الإصرار ظلت تنتقض من أطرافه، ومع هذا كله فلم تستطع هذه القوى أن تنال شيئًا من أصوله، ولا زالت أصوله قادرة على البعث الجديد.

ولو أننا قارنا المجتمع الإسلامي البناء بمجتمع آخر كالمجتمع الروماني القديم الذي استغرق بناؤه قرابة الألف عام ثم تم تحطيم هذا البناء فيما لا يزيد على قرن من الزمان تحت ضربات القوط ولم يقم بعد ذلك أبدًا ولا بقى شيء في أصوله يمكن أن تقوم عليه بناء جديد، لو فعلنا ذلك لأدركنا الفرق بين المجتمع الإسلامي وبين المجتمعات الأخرى.

السلبية عقبة:

والإسلام لا يرضى بالسلبية ولا يقر أبناءه عليها، ذلك لأن السلبية ضعف، لأبنائه الضعف، والرسول ﷺ يقول: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)) "ابن ماجه"، ويقول: ((لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم)) "رواه الترمذي".

ثم إن السلبية مع دلالتها على الضعف، تقف عقبة أمام من يريد أن يؤدي رسالته في الحياة، ومن هنا فقد رفض النبي الكريم نصيحة عمه أبي

طالب الذي يحبه ويقف إلى جانبه ضد المشركين في أنيسكت عن سب آلهة قريش، وقال كلمته المشهورة: ((يا عم، واللهلو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذ الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)) "الطبراني في الأوسط".

وأبو بكر الصديق ﷺ لم يستمع إلى نصح الناصحين عقب وفاة النبي ﷺ في أن ينتظر فترة فلا يقاتل المرتدين سريعًا، لأن بعض قبائل الجزيرة العربية قد نقضت عهدها فقال كلمته الشهيرة: ((والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه)).

واستمر المسلمون في هذا الاتجاه حتى في أسوأ الظروف: فصلاح الدين الأيوبي حارب سنوات طويلة أعداء الإسلام في ظروف سيئة، والملك المظفر قطز حارب التتار في ظروف سيئة كذلك هؤلاء، وأمثالهم لم يرضوا بالسلبية لأنها تؤدي إلى الدمار، فكانوا إيجابيين معتمدين على الله تعالى وكان النصر حليفهم.

والسلبية في المجتمع تجعل الرذائل تنتشر، لأنها لا تجد من يصدها ويقف أمامها، وهذا ما حدث في بني إسرائيل؛ فقد كان الذي يفعل الفاحشة لا يجد من ينهاه عنها، ولذلك فقد لعنهم الله تعالى في قوله: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٧٩)) {المائدة ٧٨-٧٩}.

والمؤمن مطلوب منه ألا يكون سلبيًا حتى في أوقات ضعفه وعدم استطاعته الدفاع عن نفسه فإن الإسلام يطالبه بالهجرة إلى مكان يجد فيه حريته وأمنه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ {النساء ٩٧-٩٨}.

الإيجابية الضارة:

والإسلام حين دعا إلى الإيجابية ونهى عن السلبية لم ينس أن تكون الإيجابية التي يدعو إليها هى الإيجابية النافعة، أما الإيجابية الضارة فإن الإسلام يأباها ولا يرضى بها، وقد بدأ هذا الاتجاه في قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة ٢٥٦}، والدعوة إلى العصبية إيجابية ولكنها إيجابية ضارة، والقتال على العصبية إيجابية ولكنها إيجابية ضارة، ولذلك فإن النبي ﷺ يقول: ((ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)).

والذي يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف يتخذ طريق الإيجابية الضارة، والرسول ﷺ يتوعد هذا الصنف من الناس فيقول: ((كل أمتي

معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل عملًا بالليل فيصبح وقد ستره الله عليه يكشف ستر الله عليه)) "متفق عليه".

والذي يغش يتخذ طريق الإيجابية الضارة للمجتمع وذلك لمصلحته الخاصة، والرسول ﷺ يلعنه في قوله: ((من غشنا فليس منا)) "مسلم"، والذي يحتكر أقوات المسلمين يتخذ طريق الإيجابية الضارة والرسول ﷺ يقول فيه: ((الجانب مرزوق والمحتكر ملعون)) "ابن ماجه"، والذي يطفف في الكيل والميزان يتخذ طريق الإيجابية الضارة، والله تعالى يقول فيه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(٣)﴾ {المطففين ١-٣}.

وقُطّاع الطرق إيجابيون ولكن إيجابيتهم ضارة بالمجتمع لما في عملهم من سرقة بالإكراه وسلب ونهب وقتل للنفوس البريئة، ولذلك كان جزاؤهم عند الله قاسيًا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٣٣)﴾ {المائدة ٣٣}.

وبعد، فإن المسلم السوي يتمسك بالإسلام شعوريًا في إيجابيته، وقد تمر به فترات ضعف ولكن استعداده للإيجابية البناءة موجود في نفسه.

والمستعمرون في البلاد الإسلامية استمروا يهدمون في أخلاقنا، ويحاولون أن يبعدونا عن مثلنا وقيمنا وأخلاقنا، وساعدهم على ذلك أنهم

اصطنعوا نخبة من أبناء المسلمين، وربوهم في حجرهم، وأمدوهم بالمال والجاه، وساعدوهم في اتجاهاتهم ضد الإسلام وضد المسلمين.

ومن الأمور التي يعرفها الجميع أن البناء أصعب من الهدم، ولكن المسلمين إذا اتجهوا إلى الله وعملوا على أن سبحانه وتعالى قد وعد بذلك في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ {النور ٥٥}، وبذلك يكون الهدم للإسلام أصعب من البناء.

الباب الثالث

كيف نعيد للإسلام مجده



الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة

الفكر الاجتماعي يختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن عصر إلى عصر حسب المفاهيم التي تسود المجتمع.

فعند قدماء المصريين: تظهر نظرية تقديس الحاكمين، فالملك هو ابن الإله أو ممثله على الأرض، والفراعنة كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة على الأرض وإليهم المرجع في كل شيء، والفرد لا قيمة له ولذلك بنوا الأهرامات وسخروا الأفراد للبناء، ونحن نعرف فرعون وطغيانه وتهديده للسحرة لو آمنوا برسالة موسى بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل إذا لم يمتثلوا لأوامر.

واليونان: كانوا يعملون على إعداد المواطن الصالح ويربون الإنسان على قهر خصمه ولو كان عن طريق الخداع والمغالطات والسفسطة، والإنسان عندهم مقياس كل شيء، وأنكروا أن يكون هناك قانون عام للعدالة والقوة عندهم هى الحق، وهذه دعوة إلى الفوضى الخلقية والفكرية وتمجيد لأثرة الفرد وإنكار للحقائق الثابتة وهدم للاعتقاد الدين.

وسقراط الفيلسوف اليوناني يرى أن تحصيل المعرفة ينبني على العقل لا على الحواس، ولم يهتم بالأمور الكونية – والإنسان (في نظره) لا يعمل الشر وهو عالم بنتائجه، ولو علم أين الخير لعمله حتمًا – مع أن الإرادة لها دورها الفعال في المجتمع في الحقيقة.

وأفلاطون اتخذ الإنسان والكون موضوعًا لفلسفته، وخيرية النفي عنده تقاس بمدى سيطرة العقل على القلب، ويرى إعدام الأبناء الذين يولدون لآباء أشرار، ويرى عدم السماح للضعفاء والمرضى من الأبناء الذين نشؤوا عن طريق البغاء، والأولاد الأصحاء ينسبون إلى الدولة وتربيتهم ويكون ولاؤهم لها، وقد حرم على طبقتي الحكام والجنود الزواج والاتصال الجنسي بينهم بلا حدود حتى لا يضيع النسب، وينسب الجميع إلى الدولة، ولكنه عرف أخيرًا أن ذلك لا يمكن فعله.

وأرسطو ينادي بالملكية الخاصة ويقرر أن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأصلية وإذا زاد العدد أباح الإجهاض أو قتل المولود.

وعند الرومان: تميزت حياة الشعب الروماني بالإقبال على الملذات والاستغراق في الشهوات، وقد أصاب الناس الترف وأصبح الهم الوحيد عندهم اكتساب المال من أي وجه ثم إنفاقه على الشهوات والملذات وقد فضل الناس العزوبة على الزواج وكان العدل يباع مثل السلع ولذلك أهمل كل شيء مفيد وقد هلك في عام ٥٣٢م في الاضطرابات ثلاثون ألفًا من الناس وذلك في العاصمة وحدها.

وفي المسيحية: أعادت المسيحية إلى البشرية فرصة العودة إلى المنهج الإلهي، ولكن بني إسرائيل تمردوا على حكم الله وانتشرت فيهم الحياة المادية الفاسدة والإسراف في الشهوات، ولم يؤمن بالمسيح إلا عدد قليل، وموقفهم يظهر في:

١ – رد دعوة التوحيد.

٢ – رفض ماجاء به الإنجيل.

٣ – الدعوة إلى الزهد في الدنيا

٤ –التمرد على تنفيذ ما شرع الله والإصرار على دعواهم وأنهم وحدهم شعب الله المختار.

اضطهاد اليهود للمسيحيين: لقد نزلت بالمسيحيين كوارث جعلتهم يستخفون ويفرون بها أحيانًا، حتى جاء قسطنطين سنة **٣٢٥**م فأظهر العطف عليهم في نفسه يوضحها مجمع نيقية دعا ٢٠٤٨ من البطارقة والأساقفة لفض النزاع القائم بين المسيحيين حول حقيقة المسيح وكان هو وثنيًا، وجعلهم يقرون بألوهية المسيح وبذلك تمت عملية المزج بين وثنية الرومان وبين المسيحية.

ولذلك عجزت الكنيسة عن قيادة المجتمعات، ولكن الكنيسة استطاعت بما لها من سلطان أن تحافظ على سلطتها المقدسة في السيطرة على المشاعر والأفكار، وتسرب الضعف والانحراف إلى المراكز الدينية حيث سارت في طريق فساد الأخلاق والفجور وظهرت صكوك الغفران.

وجاء الإسلام، وجعل للمسلم في هذه الحياة وظيفة سامية وجعل أثره كبيرًا في هذا الوجود، والمسلم يحس بأنه ليس عبدًا إلا للخالق سبحانه وتعالى، ووظيفة المسلم تربط الإنس والجن بناموس الحياة والوجود، والإسلام دين الوحدة بين القوة الكونية كلها، ووحد الله سبحانه

وتعالى بين الأديان جميعًا، فهذه الأمة هى أمة واحدة والله رب الناس جميعًا وعليهم عبادته وحده لا شريك له، ومن تلك الوحدة تصدر تشريعًا وقد بين لنا أن أسس التربية الإسلامية تتناول الضمير والوجدان والسلوك والقيم، إلى جانب الصلة بالخالق سبحانه وتعالى.

والشخصية المتكاملة هى الشخصية الناضجة التي تستطيع أن تنتج إنتاجًا مقبولًا في حدود استعداداتها وقدراتها، وتستطيع أن تعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية، مع تحمل صعوبات الحياة والشعور بالرضا وضبط النفس وعدم التناقض في التصرفات.

والإسلام يحرص على أن يكون المسلم ذا شخصية سوية متكاملة تستطيع أن تفهم وأن تعمل وأن تنتج وأن تكون راضية عن نفسها وعن تصرفاتها السليمة التي تبني ولا تهدم، والمسلم مسؤول عن تصرفاته مسؤولية كاملة ولا تزر وازرة وزر أخرى، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وكل فرد في المجتمع راع ومسؤول عن رعيته.

والقرآن الكريم يبين للمسلم مكانته بين مخلوقات الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى خلقه وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة في الأرض وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر العدل والأمن والمساواة بين الناس جميعًا.

وسعادة الإنسان تنبع من الصلة بخالقه سبحانه وتعالى والرضا الكامل، وأما المال فهو خضرة حلوة إذا أخذه المسلم عن طريق حلال

وأنفقه طبقًا لتعاليم الإسلام وإلا فهى شر بالنسبة لصاحبه، ومع ذلك فليس للإنسان من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأبقى.

ومن أم عناصر الشخصية المتكاملة تحرير الوجدان من عبادة غير الله تعالى، وقد كان الإسلام في ذلك واضحًا أشد الوضوح فبين القرآن الكريم كل عناصر الشخصية الإسلامية السليمة، وقد فتح الإسلام باب الصلة الكاملة بين العبد وبين ربه وبيّن لهم أنه قريب منهم يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

كما تهدف إلى تحرير الإنسان أيضًا من عباد القيم الاجتماعية كالجاه والحسب والنسب واللون وجعل أقرب الناس إلى الله أتقاهم.

ولذلك فقد طلب الله سبحانه وتعالى من المسلمين أن يتقوا الله ما استطاعوا وإتمامًا لهذا المنهج جعل الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

والإسلام يرشد الناس إلى عمل الصالحات وإلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر وذلك كله يؤدي إلى إعداد الإنسان الصالح الذي عنى الإسلام بتربيته لا المواطن الصالح الذي تهتم الحضارة الغربية بتربيته، ومن صفات الإنسان الصالح العدل الكامل بين الناس جميعًا والمساواة الكاملة وإذا رأى منكرًا غيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبة وذلك أضعف الإيمان.

والشخصية المتكاملة تكون متوازنة في كل تصرفاتها متميزة في أفكارها وفي عواطفها وفي سلوكها وفي كل ما يقوم به الإنسان نحو نفسه

ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو المجتمع الإنساني كله، والشخصية المؤمنة تطلب العلم من المهد إلى اللحد وتعمل العمل الصالح الذي يفيد المجتمع كله.

والإسلام لا يفصل بين العلم الديني وبين العلم المدني كما يحدث في الغرب، فالعلم كله من الدين وهو يسير في تحقيق المسلم رسالته في هذه الحياة، فهو يعرف لماذا جاء وما وظيفته وإلى أين المصير.

وما أصدق الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية حين قال في كتابه "روح السياسة العلمية" : (إني أشعر على حق حين أقر بأن الإسلام فيه كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة).

وقد استطاع المسلم أن يستخدم عقله المتحرر في تحقيق رسالته طبقًا لتعاليم الإسلام، فبالعقل استطاع الإنسان أن يتبين النافع من الضار.

والحرية في الإسلام مقيدة بتعاليم الإسلام وتتبعها المسؤولية وهذا ما لم تصل إليه الفلسفات الحديثة، ولذلك يشيع من المجتمعات الغربية القلق والحيرة وقد أخذوا يهربون من المجتمعات عن طريق المخدرات ومن الحياة عن طريق الانتحار الذي أصبح عندهم فنًا يسمى فن الموت وله جماعات يذهب إليها من يريد الانتحار وفي حفلة رقص جماعي يتناولون فيها المهدئات ثم السمات فيموتون وهم يرقصون.

ولكن المسلم باتصاله بخالقه يستطيع أن يتكيف مع نفسه فتكون حيات خالية من القلق والصراع النفسي ويرضى عن نفسه وعن تصرفاته،

وأن يتكيف أيضًا مع مجتمعه فيكون قادرًا على ضبط نفسه في المواقف التي تثير الانفعال إلى جانب هدوئه وقدرته على التعامل مع الناس بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له أفكاره، وبذلك يكون الفرد والمجتمع ناضجًا انفعاليًا فيعيش في أن وأمان ويؤدي وظيفته التي خلقه الله لها وهى عمارة الأرض ويكون شهيدًا على الناس كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدًا عليهم.

الاستلاب الثقافي للأمة الإسلامية

الاستلاب الثقافي: تعبير يقصد به سيطرة الثقافة الغربية بكل صورها ومفاهيمها على الأمة الإسلامية والبعد عن الثقافة الإسلامية بكل صورها ومفاهيمها، ذلك لأن الاستعمال الغربي جعل أهم هدف له في البلاد الإسلامية التي استعمرها القضاء على الهوية الثقافية، لأن ذلك أقصر طريق لبلوغ أهدافه وبخاصة وأن العالم الإسلامي له ثقافته الأصلية التي يرى في وجودها خطرًا عليه وقد استخدم لذلك وسائل منها:

– نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على أفكار الناشئة في البلاد الإسلامية وإكراه المجتمع الإسلامي على قبولها ولذلك فقد زين للناشئة حضارة الغرب وأثار إعجابهم بها وأظهر أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الأخطاء.

– جعل البلاد الإسلامية تشعر بالنقص تجاه ثقافة الغرب وقيمه وحضارته كما أبرز جوانب التخلف في الحضارة الإسلامية آملًا في أن ينتزع الأمة

الإسلامية من جلدها تجريدها من درعها الثقافي الواقي لها من كل المتاعب والمشكلات.

– جعل الاستلاب الثقافي عن طريق النظام التربوي وذلك بتربية طائفة من المثقفين البعيدين عن أمتهم وثقافتهم، ولذلك فإنهم أخذوا يعملون على تحقيق أهداف الاستعمار كما قاموا مع المستعمر بانتزاع الأمة الإسلامية من جذورها الثقافية.

– وقد أصبح مفهومًا لدى المسلمين أن الحضارة الغربية هى التي ستنقذ العالم من كل مشكلاته لأنها حضارة إنسانية شاملة، بينما هى حضارة لا تعمل إلا لمصلحة أبنائها ولو على حساب البشرية كلها.

– إن الإنسان في الحضارة الغربية لا تساوي شيئًا، اللهم إلا بمقدار ما يقدم لها من مال أو خدمات أو غير ذلك، وأصبح الغربي يمتلك بالمال والقهر ناتج عمل الإنسان وكفاحه.

نعم لقد زهت الحضارة الغربية الحديثة بما حققت من اكتشافات مادية جعلت الناس ينظرون إليها في إعجاب وأعلنوا أن هذه الحضارة لا تعلو عليها أية حضارة أخرى، ولذلك فإن الحضارة الغربية استرقت الإنسان ولكن بصورة جديدة لم تكن معروفة من قبل ذلك لأن السيد في الحضارات القديمة كان يقوم بإطعام عبده وكسوته وسكنه حتى يستطيع أن يقوم بالعمل الذي يوكل إليه لمصلحة سيده، فالسيد يمتلك بالمال والقهر ناتج عمله وكفاحه، بينما السيد في الحضارة الغربية الحديثة لا يرهق نفسه

مع عبيده لإجبارهم على العمل، بل إنه يتخذ وسيلة جديدة تفتق عنها ناتج عرق الإنسان وكفاحه، بل ويمتلك أيضًا عقله وفكره.

لقد أصبح هناك قابلية للرق عن طريق الأيدلوجيات الحديثة التي يعتنقها المستشرقون في الحضارة الحديثة، والقابلية للرق أخطر من الرق نفسه لأنه نوع من الاستلاب الثقافي الذي نجح فيه الغرب، وعن طريقه لن يحس الإنسان بالظلم الواقع عليه، وبالتالي لن يسعى إلى تحرير نفسه أو المطالبة بحقه، وكيف يفعل ذلك وهو راض بما هو عليه من ذل واستبداد؟

ثم إن الاستلاب الثقافي في العصر الحديث شمل الأفراد كما شمل الدول بحيث تكون الدول المسترَقة تابعة اقتصاديًا وسياسيًا للدولة المسترِقة، ولذلك فإنها تتأثر بها اجتماعيًا وفكريًا وثقافيًا.

ثم تأتي بعد ذلك التبعية السياسية لترينا وجهًا آخر من وجوه الاستلاب الثقافي وهى تظهر في تبعية الدول الإسلامية لسياسة الدول الغربية ولو لم يكن لها مصلحة في ذلك، بل ولو كان ذلك ضد مصلحتها لأن الاستلاب الثقافي جعل هذه الأمور عادية وتلقى قبولًا عاديًا كما نرى في كثير من بلاد العالم وتصل هذه التبعية إلى درجة المؤامرات والاغتيالات.

ومن مظاهر الاستلاب الثقافي التبعية الفكرية التي تظهر في أن ينظر سكان الدول الإسلامية بمنظار الدول الغربية التي تتبعها.

فروسيا مثلًا حين قتلت مئات الآلاف من مسلمي أفغانستان لم يتكلم أحد، والصرب حينما قتلوا مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك وعشرات الآلاف من مسلمي كوسوفا لم يتكلم أحد.

وإسرائيل حينما تقتل المئات من الفلسطينيين وتدمر البيوت والمساجد لا يتحرك أحد وهكذا، وكأن هذه الأمور شيء عادي لا يستحق التفكير. ولكن لبنان حين تحتجز أمريكيًا واحدًا – مجرد احتجاز – تقوم الدنيا كلها من شرق وغرب مسلمين وغيرهم بحجة أنهم يتحركون بدوافع إنسانية.

ومصر حين تحكم على جاسوس إسرائيلي بالسجن تقوم الدنيا كلها بجهود مختلفة لإطلاق سراحه.

وتفجير سفارتين لأمريكا في جنوب إفريقيا تجعل العالم الغربي يقيم الدنيا ولا يقعدها ويهاجم السودان وأفغانستان بالصواريخ المختلفة بدون سبب حقيقي.

ترى أين كانت هذه الدول التي تتشدق بالإنسانية حين قُتِلَ المسلمون في أفغانستان والفلبين والبوسنة والهرسك وكوسوفا وفلسطين وغيرها من البلاد ؟

ومع ذلك فإن الدول الغربية لا تخفي شيئًا من ذلك لأنها لا تخشى أحدًا من المستعمَرين ثقافيًا، ففي عام ١٨٩٩م صدر بيان رسمي عن إدارة الاحتلال الفرنسي توضح سياسة التربية والتعليم في مدغشقر بالآتي: "نريد

أن نجعل المدغشقريين الأحداث رعايا أوفياء ومطيعين لفرنسا، وأن نقدم لهم تعليمًا صناعيًا وزراعيًا وتجاريًا ليسد حاجات المستعمرين ومختلف الدوائر المستعمرة"، وفي عام ١٩٨٩م صرح وزير المستعمرات البريطاني (هنري سيمون) بأن التربية في المجتمع الاستعماري إنما تتم لخدمة المستعمر.

والاستعمار الثقافي يطلق كلمة الإرهاب على الإسلاميين فقط – مع أنه رد فعل لما تقوم به إسرائيل والصرب والحكومات التي تسير على هذا المنهاج – ولا يسمى أحد ما تقوم به إسرائيل والصرب والهند ولا الحكومات التي تسير على هذا المنهج كلمة إرهاب، ولكن حين يدافع المسلمون عن حقوقهم قالوا: إن هذا إرهاب.

أساليب آخرى:

وقد استطاع الغرب أن يركز في البلاد الإسلامية العنصرية التي تهدم ولا تبني وتفرق ولا تجمع، والصراع العنصري اتخذه أعداء الإسلام وسيلة لتفريق المسلمين ومن ذلك العنصرية بين البربر والعرب وبين العرب والأكراد، كما استطاع أن يركز على القومية التي تتجاهل الدين كرابطة من الروابط الأساسية للمجتمع الإسلامي، وأن يركز على كثير من التعبيرات التي تفهم بمفهومها الغربي البعيد عن القيم وعن الأخلاق مثل: الحرية والإبداع والحب والتنوير والعلمانية والوطنية.

وبذلك نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على أفكار الناشئة، وأكره الناس على قبولها فزين للناشئة حضارة الغرب وأثار إعجابهم بها

واظهر لهم أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الخطأ، كما أطلق لدى أبناء الدول الإسلامية شعورًا بالنقص والضعة تجاه تراثهم وقيمهم وحضارتهم عاملًا على إبراز جوانب الخلف في ذلك التراث آملًا أن ينزع الأمة الإسلامية من جلدتها ويجردها من درعها الثقافي الواقي، كما أنه أتى عن طريق النظام التربوي بطائفة من المغتربين عن تراثهم وأمتهم ليعينوه على تحقيق القوامة الاستعمارية.

وأصبح المسلمون يتحدثون عن الإسلام في مناسبات معينة ولا يتحدثون عن الشريعة ولا عن الحكم الإسلامي ولا عن الأخلاق، وقد أفرغوا التاريخ الإسلامي من محتواه في المنهج الدنلوبي بذكر أوروبا وقوتها ونهضتها وحضارتها وأصالتها ونظمها ولا يكتب عن الصليبية وأهدافها ولا عن الربا وآثاره وهكذا، بل يكتبون عن الإباحية الجنسية وكأنها ضرورة لا غنى عنها على مذهب فرويد.

ومع ذلك فإنهم يخافون من كلمة الإسلام لأنهم لا يطمئنون إلى أنه سيصبح نائمًا على الدوام يقول "جب" في كتابه "وجهة العالم الإسلامي": (إن أخطر ما في الإسلام أنه ينتعش فجأة دون أسباب ظاهرة ودون أن نستطيع أن نتنبأ بالمكان الذي ينتعش فيه، وعلى الرغم من هذا كله فلم تكن الصليبية تتوقع أن يكون الانبعاث على هذه الصورة).

ويأتي سؤال: ترى ما السبيل إلى التخلُّص من هذا كله ؟

والجواب أنه لابد من اجراء عملية تطهير واسعة تزيل آثار الاستلاب الثقافي ونسترد بها هويتنا الثقافية المفقودة، وذلك لا يكون إلا بمراجعة

شاملة لمناهج التعليم حتى نطهرها من كل ما هو غريب عن ديننا وثقافتنا ونبعدها عن التبعية لكل ما هو غربي، ومثل ذلك أجهزة الدعاية والإعلام بكافة صورها، ويمكن أن يكون ذلك على مرحلتين: الأولى مرحلة حرث، والثانية مرحلة غرس.

فمرحلة الحرث تزيل الاستلاب الثقافي وآثاره في جميع نواحي الحياة.

ومرحلة الغرس نسترد بها ثقافتنا وهويتنا المفقودة، وذلك يكون بالتربية الإسلامية الشاملة الكاملة النابعة من قيمنا وديننا وأخلاقنا وثقافتنا، لأنها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى ما نبغي من أهداف، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: (وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ (١٥٣)) {الأنعام ١٥٣}.

التغريب للمجتمعات الإسلامية يشمل الألفاظ

المجتمع الإسلامي في الماضي كان يستعمل ألفاظًا تحمل مدلولات إسلامية لا يختلف عليها أحد في فهمها ولا في استعمالها ولا تدور المناقشات حولها، ثم جاء الاستعمار العسكري للبلاد الإسلامية الذي تبعه الغزو الثقافي فعمل على تغيير الألفاظ وتغيير مدلولاتها وبذلك يسير المسلمون في الاتجاه الذي يريده الغرب ويبتعدون عن الحضارة الإسلامية.

لقد دعا الغربيون إلى استعمال اللغات العامية بدلًا من اللغة العربية بحجة أو بأخرى، ولم ينجحوا كثيرًا في هذا الاتجاه، ثم بدؤوا في تغيير التعبيرات التي لها حيوية إسلامية ومدلولات تحرك المشاعر والسلوك إلى التعبيرات أخرى لها مدلولات مختلفة.

ومن هنا فقد قام المستشرقون بحملات منظمة على أسس دقيقة ليحدثوا تغييرات في التعبيرات الإسلامية، فأحلوا تعبيرات غربية محل التعبيرات الإسلامية، ومع مرور الزمن بهتت المعاني الإسلامية شيئًا فشيئًا حتى كادت أن تنمحي وثبتت المعاني الغربية الغربية عن الإسلام، وإذا أراد المسلم أن يرجع إلى أصل هذه التعبيرات فإنه يرجع إلى الخلفية الثقافية الغربية، وحينئذ يتم للغرب ما يريد من تغريب المسلمين الأمر الذي يمكن لهم من ديارهم كما يمكن لهم من عقولهم ومن هذه التعبيرات:

الأجانب بدلًا من الكفار، والحرب بدلًا من الجهاد، والتراث بدلًا من الإسلام، والمساعي الحميدة بدلًا من الصلح بين طائفتين من المسلمين، والوطنية بدلًا من الإسلامية، إلى غير ذلك من التعبيرات التي تسربت إلى ثقافتنا الحديثة بدون أن نشعر.

وبعد فترة بدأت هذه البذور تأتي ثمارها وأصبح الكفار يعيشون في بلادنا على أنهم أجانب فقط، ومن الممكن أن يكون الأجنبي الغربي أرقى مدينة وأرقى ثقافة وأرقى مكانة، وبالتالي فإن المسلم لا يرى أن هؤلاء الكفار دونه في أي شيء وأنه مطالب بهدايتهم إلى الإسلام بل إنه يبدأ في الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وتنمحي صورة المسلم شيئًا فشيئًا ويصير

الأمر إلى ما نراه الآن في بلادنا الإسلامية من الإقتداء بهم وبأنهم المثل الأعلى في التربية وفي السلوك، ثم إلى الاقتناع بأن التمسك بالإسلام هو سبب تأخر المسلمين.

واستعملت كلمة حرب بدلًا من الجهاد لأن الجهاد يعني أنه حرب ضد أعداء الإسلام وهو جهاد في سبيل الله تعالى فمن يقتل فهو شهيد، وهدف الجهاد تحقيق رسالة المسلم في هذه الحياة باعتباره خليفة في الأرض، أما الحرب فشيء مختلف فقد يكون بين المسلمين وبين أعدائهم، وقد يكون بين بعض المسلمين وبعضهم الآخر، وقد يكون لمطمع مادي أو مطمع ذاتي كتحقيق الزعامة والسيطرة وما إلى ذلك، ولابد من جهاد المستعمر لأنه كافر ومستغل وضال، ولكن ليس هناك ما يدعو إلى حربه لأنه قد يكون صديقًا بالمعنى الحديث ولذلك فقد بقي المستعمرون في بلادنا فترات طويلة يغتصبون خيراتنا ويستعبدوننا ويغيرون مفاهيمنا ويعملون على إخراجنا من ديننا، ولم يخرجوا من ديارنا إلا بعد أن أطمأنوا إلى أنهم ربوا مجموعات من أبناء البلاد مكنوا لها في الحكم والإشراف على الثقافة والتعليم وغير ذلك، وقد مكنوا لها في بلادنا واطمأنوا إلى أنهم سيؤدون دورهم الذي رسم لهم.

واستعملت كلمة التراث بالمفهوم الغربي فأصبحوا المسلم يحس بأن القرآن والسنة من التراث كأي شيء آخر، وبذلك لم يعد لهما أهمية كبرى، وأصبح المسلم لا يعتز به الاعتزاز الكامل بل إنه قد لا يخطر ببال المسلم القرآن والسنة بل والكتب الصفراء، وحينئذ يرى أن هذا التراث

بال وأن التمسك به رجعية، وما ينسحب على الكتب الصفراء ينسحب مع الزمن على القرآن الكريم والسنة النبوية وأصبح من الممكن أن نستغني عن التراث كله أو عن بعضه، ولكن ليس من الممكن أن نستغني عن الإسلام ولا عن الكتاب والسنة.

واستعملت كلمة المساعي الحميدة بدلًا من الصلح بين طائفتين من المسلمين، والمساعي الحميدة جهود تبذل قد تفيد وقد لا تفيد وحينئذ لا يحس الساعي في الصلح بأنه قد قصر في أداء مهمته لأنه أدى ما عليه، لكن الصلح بين طائفتين من المسلمين فرض على المسلمين ولا ينتهي إلا بانتهاء القتال والأمر واضح في الآية الكريمة: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٩)﴾ {الحجرات ٩}.

ولابد من اتباع الخطوات الآتية:

– الإصلاح بين الطائفتين من المسلمين.

– إن لم يكن ذلك فلابد من مقاتلة الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله تعالى.

– وإن عادت الفئة الباغية إلى الصف الإسلامي فالصلح بين الطائفتين مطلوب لإعطاء كل ذي حق والله يحب المقسطين.

وفي العصر الحديث: بدأ تفكك البلاد الإسلامية على أساس القومية والوطنية وما إلى ذلك، ولو أن المسلمين قاموا باسم الإسلام ليدفعوا الظلم عن أنفسهم لوصلوا إلى ما يريدون – مع بقاء الوحدة بين المسلمين – وحينئذ يبقى لهم كيانهم ووحدتهم ويستطيعون أن يؤدوا رسالتهم في هذه الحياة، وفي عصور الظلمات وفي ظروف خاصة بالأمة الإسلامية استهوتها هذه الشعارات وأصبح الجميع يرددونها وأصبح بعض المسلمين يعمل على تنفيذها، ونجح الاستعمار في ذلك نجاحًا كبيرًا.

وهكذا قامت جامعة الدول العربية على أساس القومية العربية بتشجيع غربي لإبعاد الإسلام عن حياة المسلمين، وشجع ذلك على إثارة النعرة الفرعونية في مصر والبربرية في شمال أفريقيا وغير ذلك، وهكذا قامت الحرب بين إيران والعراق، ثم بين العراق والكويت، ولم نجد من الدول الإسلامية من يعمل بالآية الكريمة: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ..﴾ {الحجرات ٩}.

وهكذا تبقى إسرائيل في وضعها آمنة مطمئنة بل إنها أصبحت تعمل على تحقيق آمالها العريضة في الوصول إلى إسرائيل الكبرى التي تشمل "من النيل إلى الفرات" بل وأكثر من هذا فإنها تريد أن تصل إلى المدينة المنورة التي كانوا يسكنونها قبل الإسلام، ولأن إسرائيل تعيش آمنة فإنها تعيث في الأرض فسادًا وتنفذ مخططاتها في تكبر وتبجح واستهانة بالعالم الإسلامي كله، وأصبحنا نجد من يهتف "ستبقى القدس عربية" ترى لماذا لا

نقول ستبقى القدس إسلامية ؟ فنكون أقرب إلى الحقيقة وبذلك نثير مشاعر المسلمين في جميع أنحاء الأرض.

إن كل نجاح للأمة الإسلامية لا يتم إلا تحت راية الإسلام وكل فشل يتم تحت راية العروبة أو نحوها لأن الإسلام يوحد بينما العروبة والوطنية كل منهما يفرق، ومن هنا فإن أعداء الإسلام يحاولون جاهدين أن يبعدونا عن الطريق السليم ليصلوا إلى ما يريدون بل إنهم عودونا أن يتحدثوا عن الإسلام في كل ما يتعلق بالنجاح، إنه مخطط خبيث ولابد أن نتنبه له حتى نصحح مسارنا حتى نبلغ بالإسلام إلى ما نريد ونحقق رسالتنا الإسلامية التي اختارنا الله تعالى لها.

وما اتخذ بين العراق وإيران والعراق والكويت إنما هو مساعي حميدة وليس صلحًا بين طائفتين من المسلمين، ومعنى ذلك أن التغريب قد أتى ثماره بل إن التغريب قد وصل إلى أن الدولة الإسلامية قد اختلفت في سلوكها فبعضها يؤيد هذه الدولة وبعضها يؤيد تلك الدولة وبعضها لا شأن له وكأن الأمر لا يعنيه واستعملت كلمة الوطنية بدلًا من الإسلامية وكان الغرض من ذلك تفتيت الوحدة الإسلامية وتقسيمها إلى أوطان تتصارع وذلك يمكن للمستعمر أن يصل إلى ما يريد.

ويلاحظ أن من خصائص الوطنية والقومية الكراهية والخوف فهي لا تبقى إلا إذا كان لشعب ما يكرهه وما يخافه، ولا يزال الغربيون يثيرون في النفوس عواطف الخوف والكراهية ليبقى لهم ما يريدون، وقد حلل العلامة الألماني جود ذلك تحليلًا نفسيًا فقال: (إن العواطف التي يمكن إثارتها

بسهولة هي عواطف المقت والخوف التي تحرك جماعات كثيرة من الدهماء بدلًا من الرحمة، فالذين يريدون أن يحكموا على شعب ما لغاية عندهم لا ينجون حتى يلتمسوا له ما يكرهه ويوجدوا له ما يخافه، فلم يعد من دواعي العجب أن الحكومات الوطنية في هذا العصر في معاملتها لجيرانها إنما تنقاد بعواطف المقت والخوف فعلى تلك العواطف يعيش من يحكمونها).

ويقول "والترشزبات" في ذلك أيضًا: (إن الروح الغربية يتفشى فيها القلق والخوف وهي شديدة الأثر نزاعة إلى الفردية محبة للتنافس وإن الفرد من خلال هذا النموذج الغربي لا يعبؤ بخلاص روحه وإنما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه، وقد نجح الغرب في تغيير وجه الأرض، ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب وتعصف بها الأعاصير، وأوروبا تقترب من النهاية ولا شيء يستطيع دفع هذا المصير المحتوم).

وعلى هذا الأساس قسمت الأمة الإسلامية إلى دويلات تمشيًا مع هذه النزعة ولا زالت تقسم حتى الآن، فلبنان جزء من الدولة الإسلامية الكبرى يعمل الغرب على تقسيمها إلى دويلات، وأهم من ذلك الروح التي تسود تلك الدويلات روح الكراهية والحقد، وأصبح كل قطر إسلامي يتعامل مع غيره على أساس من العداوة في كثير من الأحيان وأصبحت المودة صناعة تسير مع المصلحة الخاصة وقد تكون مع الدولة الكافرة بينما العداوة للدول الإسلامية، لكن الإسلام يربي أبناءه على أن الناس جميعًا خلقوا من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وأن أكرمهم

عند الله اتقاهم، أما عاطفة الكراهية فإنه يوجهها إلى العدو الحقيقي الذي لا يريد بالإنسان إلا الشر وذلك هو الشيطان الرجيم الذي يقول الله تعالى فيه: (يا بَني آدَمَ لا يَفتِنَنَّكُمُ الشَّيطانُ كَما أَخرَجَ أَبَوَيكُم مِنَ الجَنَّةِ) {الأعراف ٢٧}.

الخلل في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

الإنسان في الإسلام هو مركز حركة الكون فقد خلقه الله تعالى ليحقق أرقى لون من ألوان التحضر الذي يسعد الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، وبذلك أعطى الإسلام للبشرية المنهج السليم الذي يجعلها سائرة على الطريق المستقيم.

والإسلام حريص في بنائه للفرد على أن يوفر له كل الطرق الملائمة لإشباع حاجته إلى العلم عن طريقتين:

١ – نشر الثقافة والعلم والمعرفة بكل الوسائل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

٢ – تحقيق المساواة الشاملة والعدالة الكاملة وتكافؤ الفرص.

وفي العصر الحاضر حدث خلل فكري في المجتمعات الإسلامية مما سبب الاضطراب في كل شيء إلى جانب انعدام الحرية وروح الرجولة والإحساس بالمسئولية.

وكان للاستعمار دوره الواضح في الخلل الفكري في العالم الإسلامي لأنه جعل هدفه الأول القضاء على الهوية الثقافية للدول العربية من أقصر طريق لبلوغ أهدافه، والوسائل التي اصطنعها تتلخص في:

١ - نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على الناشئة وإكراه الناس على قبولها، فقد زين للناشئة حضارة الغرب وأثار إعجابهم بها وأظهر لهم أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الضلال.

٢ - أطلق لدى أبناء الدول الإسلامية الشعور بالنقص والضعة تجاه تراثهم وحضارتهم وقيمهم عاملًا على إبراز جوانب التخلف في ذلك أملًا أن ينزع الأمة الإسلامية من جلدتها.

٣ - أثر في النظام التربوي بإتيانه بطائفة من المثقفين المغتربين عن تراثهم وأمتعتهم ليعينوه على تحقيق أهدافهم الاستعمارية، كما عملوا معه على انتزاع الأمة من جذورها الثقافية.

وقد ظهرت في المجتمعات الإسلامية العقليات المادية التي أوجدت في الناس حب الذات الذي جعل كل فرد من أفرادها يهيىء لنفسه ما يستطيع من أسباب الترف والرفاهية وأصبح الفرد لا يهمه أبوه أو أخوه أو زوجه أو ولده، وقد أحدث الترف طرقًا لا تعد ولا تحصى للاقتناء والترفيه أو للمظهرية، وأصبح الإنسان يشتري الآلات الموسيقية ولو لم يكن عنده ذوق موسيقي، ويكون عنده مكتبة ضخمة مع أنه لا يقرأ منها شيئًا، وكثيرًا ما يشتري الأشياء لامتلاكها فقط.

وهكذا أصبح الإنسان يحاول أن يشبع الوهم بحب التظاهر الذي يبعد الإنسان عن كل علاقة صحيحة بحاجياته الحقيقية، وبذلك أصبح الاستهلاك هدفًا لذاته لا للاحتياج ولا للسعادة، وأصبح الناس يظنون أنهم لا يستطيعون الحياة بدون ذلك.

مثال لشاب مسلم: وحين كنت مدرسًا بجامعة قطر تحدث إليّ طالب عن حياته المرفهة وقال: إنه لا يستطيع أن يعيش بدون جهاز لتكييف الهواء سواء أكان ذلك في البيت أم في السيارة، فقلت له: أن شاب عربي مسلم وتفخر بذلك ترى كيف تستطيع أن تؤدي وظيفتك في هذه الحياة وأنت على هذا القدر من الرفاهية وعدم تحمل المسؤولية وعدم تحمل مشقات الحياة، بينما المنصّرون يأتون من أوروبا وأمريكا ويعيشون في أدغال أفريقيا وحرها ليؤدوا وظيفتهم في تنصير المسلمين، واليهود يعيشون في صحراء النقب متحملين كل شيء في سبيل تحقيق باطلم، ثم طلبت منه أن يصلح خلله الفكري وأن يؤمن برسالته التي كلفه الله تعالى بها.

ولوجود الخلل الفكري حدث تغير كبير في المفاهيم، ومن ذلك مفهوم الحرية الذي جعل المرأة تخرج للعمل وتختلط بالرجال اختلاطًا كاملًا وتتزين الزينة التي تجذب الرجال، ودخل هذا المفهوم إلى سيكولوجية المرأة إلى درجة أن أدوات الزينة والملابس النسائية زادت في إيران في أيام الشاة إلى خمسة آلاف ضعف خلال عشر سنوات فقط، وبذلك أصبحت المرأ لا ترغب في الحياة الفطرية ولا تهتم بشؤون البيت حتى تحتفظ برشاقتها وأناقها وجمالها لتلفت إليها الأنظار، ولذلك

أصبحت لا ترغب في الحمل ولا في الرضاعة ولا في مسؤولية البيت، وبذلك أساءت إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها، فقد كانت ريحانة تشم، فأصبحت مشكلة تتطلب الحل، وكانت عرضًا يصان، فأصبحت حملًا ثقيلًا يضيق به الأب والأخ.

ولوجود الخلل الفكري في مجتمعاتنا الإسلامية استطاع الغرب أن يدخل إلينا بمفاهيمه، ومن ذلك أننا أصبحنا نسكن في بيوت مبنية بالإسمنت على الطراز الغربي، مع أن هذا البناء ليس مناسبًا للبيئة التي نعيش فيها، وأصبحنا نأكل ونلبس على الطريقة الغربية، كما أننا أصبحنا نستورد الأدوية وأدوات الاستهلاك من الغرب، وأصبحنا نقيم المصانع المحلية على النمط الغربي.

والأخطر من ذلك أننا أخذنا بنظم التعليم الغربية بما فيها من خلفيات ثقافية مضادة للمفاهيم الإسلامية، كما أن الاتجاه أصبح إلى العناية بالمادة وحدها، والاهتمام بالاستهلاك والمزيد من الاستهلاك، وأصبحت الثروات في كثير من الأحيان لا تعتمد على أصول شرعية، ولا تتقيد بضوابط الحلال والحرام، ثم ظهرت تحريفات في الحياة الإسلامية منها فصل الدين عن الدولة وقلة الاهتمام بالعلوم والعملية والتقنية، وضعفت الحاسة لدينية نتيجة الاحتكاك الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي بالغرب.

والمجتمع الذي يتصف بالتفكير السليم نرى في أفراده تماسكًا ناتجًا عن الفهم والتدبر، كما نراه يحدد المشكلات ويفكر في حلها ثم

يرسم خطوط السير في حل المشكلات ويقوم بنتائجها، ثم هو يعمل على تحقيق أهداف المجتمع بكل عزيمة وإصرار ولا ينتظر جزاءً ولا شكورا إلا من الله تعالى.

وهناك أدوات لقياس التفكير السليم لمجتمع ما، ومن هذه الأدوات مدى تحقيق أهداف الدين من جميع النواحي الروحية والعقلية والجسمية والعاطفية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

وهناك أيضًا أدوات لقياس الخلل الفكري منها انتشار الأمية بكل أنواعها، والبعد عن الواقع الذي يظهر في سلوك الناس من أحاديث ومناقشات غير هادفة ولها آثار سلبية وكل ذلك يدل على الخلل الفكري.

كما أن البعد عن الدين وقيمه والجري وراء كل جديد – بغض النظر عن الحاجة إليه – أو التمسك بالقديم حتى ولو ظهر ما فيه عيوب وتعظيم كل ما هو أجنبي ومحاولة التشبه بالأجانب في السلوك حتى ولو كان منافيًا لأخلاق المجتمع الذي نعيش فيه، وكل ذلك يدل على الخلل الفكري.

ومن مظاهر الخلل الفكري التشبث بالسلطة حتى ولو لم ينجح فيها من يتمسك بها أو لم يكن قادرًا عليها حتى لو جرَّت عليه وعلى الناس الكثير من المشكلات، ومن هذه المظاهر الانتهازية والأنانية والترفع عن العمل اليدوي والتواكل وشدة الحساسية للنقد ونشر عيوب الناس وتجريحهم.

لقد فتحت الثقافة الإسلامية آفاق التحرر الفكري من قيود الكنيسة والوثنية وعبادة الفرد، والقرآن الكريم قدم للفكر البشري مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية الخالد التي تحكم المجتمعات الإنسانية على امتداد الزمان والمكان، كما أنه قدم للبشرية مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية العالمية، تتمثل في ربط العقيدة بالمعاملات والأخلاق بالعبادات في إطار المنهج الإسلامي حيث لا انفصال بين الدين والحياة ولا بين الروح والجسد، كما أنه ربط بين العلم والعمل وأطلق العقل الإنساني من قيوده، فلا كهانة ولا تجسيد للبطولة، وجعل بين الوجدان والعقل ترابطًا، كما جعل الإيمان بالغيب أساسًا لا غنى عنه للسير في الحياة ورفض التقليد والتبعية سواء أكان ذلك للماضي القديم أو الحديث الوافد من أي مكان.

والمجتمع الإسلامي يعتبر الدين أساس فكره والطابع الإنساني لخدمة البشرية كلها من أسسه، كما يعتبر الدين الضمير أساس العلم والحضارة، والإنسان له كرامة تعلو على كل شيء.

الإنقاذ: والإنقاذ من ذلك كله لا يكون إلا بالعودة إلى الثقافة الإسلامية الأصلية، وذلك يحتاج إلى شحذ الفعالية الروحية في الفرد وفي المجتمع وإلى تحريك الدوافع نحو المقاصد والغاليات، والمحور في ذلك الإنسان المسلم فهو الخلية الأولى التي يجب تكوينها ورعايتها، ويجب أن يسود المناخ العالم للمجتمع كله في مسار جمعي ويتجه إلى الخريطة الثقافية المرسومة لها.

والقدوة الصالحة هى النموذج القيم الرائد الذي تقع على كاهله مهمته، ولابد وأن يتسم المسلم بأعلى سمات الحرص واليقظة والتبصر حتى يحمي نفسه ويحمي مجتمعه، وعليه أيضًا أن يبني أنظمة وأجهزة دفاع قوية تذود عن المنجزات الثقافية كلها وذلك يحتاج إلى جهد وبصيرة.

كما يحتاج إلى نظام تعليمي يحمي الفرد والمجتمع، ثم لابد من تصحيح النظرة إلى الثقافة المعاصرة الوافدة بعد فحصها من خلال التعامل معها وإبعاد ما يتنافى مع المنهج الإسلامي، وبذلك يستطيع المسلم أن يبتعد عن الخلل الفكري وأن يستعيد ثقافته الإسلامية الأصلية وأن يعود إلى أداء وظيفته في هذه الحياة ويحقق قول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ[٥٧]﴾ {يونس ٥٧}.

صدمة المستقبل[١]

صدمة المستقبل: تعبير يقصد به الإنسان من تمزق وتشتت عندما يعرض عليه الكثير جدًا من التغيير خلال فترة وجيزة من الزمن.

وصدمة الثقافة: تعبير يقصد به التأثير الذي يحدث للإنسان عندما يجد نفسه فجأة بلا استعداد أو سابق وسط ثقافة غريبة عليه فتختلف الآلات والأشياء، والكلمات.

---

[١] تلخيص كتاب ألفه كاتب غربي بَيَّن فيه الصدمة التي ستصيب الحضارة الغربية.

ملامح المستقبل:

ترى ما هى ملامح المستقبل التي ستصيبنا بالصدمة ؟

-التغيير و الثبات: أول هذه الملامح التغيير السريع واللاثبات الذي يحدث في إيقاع حياتنا اليومية الإحساس بالعجز عن مواكبة أخر التطورات في مجالات الاختصاص، وكثيرون تعتريهم حالات من القلق والشك لأن التغيير أصبح خارج نظام التحكم، ومن أمثلة ذلك سرعة التوسع في المدن، ففي عام ١٨٥٠م لم يكن على سطح الكرة الأرضية سوى أربعة مدن يبلغ مليون نسمة، وفي عام ١٩٦٠ بلغ عدد هذه المدن ١٤١ مدينة، ثم شرع الإنسان يصمم مدنًا تحت الأرض ومدنًا تبنى على دعامات داخل البحار.

-استهلاك الطاقة: فنصف الطاقة التي استهلكها الإنسان في تاريخه كانت في القرن العشرين وحده، وإنتاج السلع والخدمات يتضاعف كل ١٥ سنة، والسر في ذلك أن التقنية تغذي نفسها وتنميها فتختصر الوقت اللازم بين ميلاد الفكرة وتطبيقها وانتشارها ومن ثم تتولد أفكار جديدة ومخترعات جديدة وهكذا.

-التراكم المعرفي: فهناك ألف كتاب تصدر يوميًا في أوروبا وحدها، ومائة ألف تقرير تكتب سنويًا في الولايات المتحدة، ٤٥٠ ألف مقالة ودراسة، وهناك عنصر كيميائي يكتشف كل ثلاث سنوات، ثم دخل الكمبيوتر فدفع التصارع إلى الأمام، والتغير المتسارع قوة سيكلوجية تزعزع من توازننا

الداخلي وتعدل من المنهج الذي تسير عليه حياتنا، كما تختزل الكثير من المواقف التي تمر بنا وتطلب تنبيه أجهزتنا العصبية وتقلص الوقت المتاح للنظرة الهادفة، وتؤدي إلى سوء الفهم بين الأجيال وبين الشعوب أيضًا وتؤثر على العادات والتقاليد ومفهوم الذات.

-وسائل المواصلات: ففي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد كانت أسرع وسيلة نقل للإنسان هى قافلة الجمال التي كانت تسير بسرعة ٨ أميال في الساعة، وفي سنة ١٩٣٨م استطاع الإنسان أن يطير بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة، وفي سنة ١٩٦٠م استطاع الإنسان أن يطير بسرعة ٨٠٠ م ميل في الساعة، ووصلت سرعة الطائرات الصاروخية إلى أربعة آلاف ميل في الساعة، ووصلت سرعة سفن الفضاء إلى ١٨ ألف ميل في الساعة، وبذلك زالت الحدود.

-الزوال: وقد أدى التصارع إلى تهوين علاقة الإنسان بالإنسان إذ لم تعد العلاقة بين الأشخاص كاملة كما كان الأمر قبل ذلك، مع كل ما نراه فعلاقة الإنسان بالإنسان أصبحت وظيفة قابلة للاستبدال من وقت لأخر وأصبحنا نكتفي بالاتصال بجزء من شخصية الإنسان، الجزء الذي يعنينا في البائع والصانع والطبيب لأن العلاقات الكاملة تعيق حرية التصرف.

وعلاقة الإنسان أيضًا بالوظيفة اعتراها الزوال فلم يعد الإنسان يقضي عمره في وظيفة تنتهي بالتقاعد بل إنه يتحرك دائريًا في عدة وظائف، وأصبحت سمة هذا العصر التخلص من الأشياء وذلك بالتوجه إلى إنتاج السلع واستهلاكها والتي تستخدم لمرة واحدة أو لفترة قصيرة ثم تحل

محلها سلعة أخرى، وهكذا حلت الاستبدالية محل التملك وينطبق هذا على المدن والمباني حيث عمليات الهدم مستمرة وحيث تتقلص أعمار المباني وتتغير أوجه المدن عامًا بعد عام مما يجعل مدنًا عظمى مثل نيويورك بلا تاريخ.

لقد حلت اقتصاديات الزوال محل اقتصاديات الدوام لأن تكاليف الإنتاج أصبحت أقل من تكاليف الإصلاح ولأن التقدم المستمر للتقنية أدى إلى إدخال تحسينات مستمرة على السلع.

وقد عملت الثورة الإيجابية في الأبنية والسيارات وغيرها على توهين علاقة الإنسان بالمكان والسلع، فبدلًا من أن يرتبط الإنسان بمسكن دائم وسيارة دائمة أصبح الارتباط بمسكن مؤقت وسيارة مؤقتة.

وعلى الصعيد المهني سوف يشهد المستقبل حلول اللادهوقراطية إدارة المشروع مكان البيروقراطية التي يحتل فيها الفرد حيزًا محدودًا داخل الإطار العام لتقسيم العمل وحيز يميل هذا الحيز نحو الثبات، وتسير الأوامر بشكل رأسي من الأعلى إلى الأسفل بحيث تتكون فرقة عمل من أجل مشكلة محددة أو إتمام مهمة معينة ثم يحل فريق العمل ويعاد توزيع أفراده على أعمال أخرى أي أن روابط الفرد مع الجغرافيا غير المرئية للمنظمة المهنية تتغير وتتبدل بسرعة متزايدة كما يحدث لعلاقة الإنسان بالأشياء والأمكنة والأشخاص وسوف يكون من سمات الادهوقراطية تحطيم سلم المراتب التنظيمية التي تفصل بين صانعي القرارات ومنفذيها.

وعلى الصعيد التعليمي أخذ الأطفال يتعرضون لمعدلات شديدة الارتفاع من التغييرات في داخل الفصول ومن المدرسيين، وهذا يؤثر على ولاء التلميذ لمدرسته، كما يسلب المدرس شعوره بالرضا الذي يثلج صدره وهو يرقب ثمرة جهده يتجسد في نمو التلاميذ.

وعلى صعيد المعلومات أدى التسارع إلى زواليتها إذ أن مخزوننا المعرفي يتغير باستمرار ليواكب التطور، واللغة أيضًا أصابها التغير في حروف الكلمات ومدلولها وهناك كلمات تختفي وأخرى تظهر تبعًا لظهور واختفاء السلع وألوان النشاط الإنتاجي والسياسي والاجتماعي.

وعلى صعيد الفن أيضًا سرعان ما تظهر مدرسة فنية ثم تختفي بينما كان من النادر أن يشهد الرجل خلال حياته تغيرًا جذريًا في أسلوب من أساليب الفن وأخذ الفنانون يتجهون إلى الأعمال القصيرة البقاء بدلًا من الأعمال الخالدة.

وللزوالية آثار نفسية مرهقة تأخذ عند بعض الناس الإحساس بالخسارة أو الحنين الدائم أو النبرة الحزينة أو الشعور بالعجز، وتأخذ عن الآخرين شكل حالات من الغضب المفاجئ وانعدام الولاء والإحساس بهشاشة الجذور، كما أنه يؤدي إلى تمزيق نسيج العلاقات القائمة وإحلال علاقات جديدة محلها.

إنسان المستقبل:

وإنسان المستقبل سوف يزحف إلى البحار للسكن وسوف تتدفق كلمات بحرية جديدة ورموز فنية جديدة، وعلى صعيد المناخ سوف يكون

باستطاعة الإنسان التلاعب عمدًا بالظواهر الجوية واستخدامها في الحروب قد يصبح من الممكن إطلاق عاصفة هنا وإرسال رياح هناك أو حجب الشمس عن منطقة وإضاءة أخرى بإطلاق مرايات عملاقة إلى الفضاء، ولذلك كله أثار على الزراعة والمواصلات وآثار نفسية واجتماعية، وهناك تطلعات لمزيد من التحكم في سلوك الحيوان واستيراد حيوانات جديدة واستخدام البكتريا في تصنيع الأغذية وإضافة أنسجة حية إلى ماكينات التصنيع تمامًا كما زرعت الآلات في جسم الإنسان.

وعلى الصعيد الاقتصادي سوف يتوجه الاقتصاد من البطن إلى الإشباع النفسي وذلك بإضافة شحنات سيكلوجية إلى السلع وستتحول الفنون إلى وصيفة للصناعة، وسيعاني إنسان المستقبل من كثرة الاختبارات المركبة بفضل التقدم التقني ووفرة المال لدى المستهلكين.

وهذا التنوع سوف يشمل كل شيء من الفن والتعليم والثقافة العامة والطوائف الاجتماعية والمهنية، وهذا التنوع يزيد من حدة الزوالية ويفاقم مشكلة الاختيار لدى الفرد ما يؤدي إلى حالات من اضطراب الشخصية والأمراض العصبية وحالات الاكتئاب النفسي لأن التقدم سيحيط الإنسان بدوامة من البدائل المتنافرة فيصبح الانتقاء مشكلة.

وهناك آثار بدنية ونفسية لعملية التغير والزوال، والأبحاث تؤكد أن المرض الجسمي والنفسي يكون أحيانًا نتيجة التغيير في البيئة، وأن الذين تميزوا بمعدل عال من التغيير كانوا أكثر تعرضًا للأمراض من غيرهم، وأنه كلما ارتفعت درجة التسارع كان المرض الذي يعقبها حادًا.

كيف نواجه الغد ؟

ترى كيف نواجه الغد ؟ إن ما يحدث هو من صنع الإنسان ولذلك فإن باستطاعة الإنسان أن يواجه آثار ذلك التغيير بالآتي:

- المواجهة الشخصية المباشرة وذلك بأن يلجأ الفرد من حين لآخر إلى فحص ردود فعله البدنية إزاء التغيير ليرى ما إذا كان قد تجاوز مداه التكيفي، ثم يشرع في التحكم الواعي في عملية التغيير وأثرها على المستوى الحسي والإدراكي لديه والاحتفاظ عمدًا بعلاقات أطول أمدًا مع عناصر بيئته المادية والاجتماعية.

- إقامة استراتيجيات جماعية بأن يهيء المجتمع منظمات لامتصاص صدمة المستقبل ومساعدة الأفراد الذين يقعون تحت وطأة التغيير.

- إيجاد خدمات استشارية للازمة، فكل إنسان يلتمس النصيحة ليتكيف مع الجديد المتغير.

- تهيئة التغيير على شكل مراحل متدرجة محكومة بدلًا من الانتقالات الحادة المفاجئة.

- المحافظة على الشعائر الدينية كالصلاة والصيام التي تساعد الإنسان على استعادة التوازن بعد وقوع الأحداث الهامة التي تحتاج إلى التكيف، وهذه الشعائر هى إحدى ممتصات صدمة التغيير السريع.

- إحداث تغيير في بنية ومضمون التعليم حتى يتكيف التلاميذ مع الغد وتنويع المناهج والمواد لأن المستقبل يتطلب أناسًا قادرين على إصدار

قرارات حاسمة وعلى القيام بأعمال غير روتينية ويستطيعون شق طريقهم وسط بيئات جديدة، ويدعوا إلى التعليم المتحرك الذي ينقل المدرسة للمجتمع باشتراك التلاميذ في نشاط المجتمع ونقل المجتمع للمدرسة باشتراكه في نشاطه، وأفضل طريقة لمواجهة الغد والتكيف معه يكون في إيجاد الانحياز الزمني للمستقبل في نفوس الأفراد.

صنع مجتمع جديد:

البشرية تشهد في وقت واحد عدة ثوابت متزامنة "ثورة جنس، وثورة عنصرية، وثورة اقتصادية، وثورة نفسية، وثورة ما فوق التصنيع" وهكذا، وفي خلال خمسين عامًا سوف يزحف الإنسان إلى سطح البحر وأعماقه لاستغلاله كجزء من استغلاله للكواكب، وحتى الآن لم يكتشف الإنسان إلا ٥ % من مساحة البحر وأصبح من المعروف أنه يضم ثروات هائلة من البترول والغاز والماس والمبريت واليورانيوم والكوباليت والأسماك.

حرية الاختيار:

إن دور الإنسان في المستقبل سوف يتضاءل بحيث يصبح دوره كدور أي جهاز من أجهزة التسجيل، وسوف يعيش في دولة دكتاتورية يقودها جستابو يرتدي قفازات، ويصبح ضحية لمحنة عصر ما فوق التصنيع، والذين ليس لديهم قدرة على التكيف إما أن يبقوا كما هم وإما أن يتعرضوا للأمراض المتنوعة ويدركهم الفناء.

وقد أثبت الإنسان أنه أقدر الكائنات الحية على التكيف، لقد تحمل صيف خط الاستواء وشتاء القطبين والمشي على سطح القمر، فقدرة الإنسان على التكيف هى قدرة لا تضاهيها قدرة على التكيف إما أن يبقوا كما هم وإما أن يتعرضوا للأمراض المتنوع ويدركهم الفناء.

وقد أثبت الإنسان أنه أقدر الكائنات الحية على التكيف، لقد تحمل صيف خط الاستواء وشتاء القطبين والمشي على سطح القمر، فقدرة الإنسان على التكيف هى قدرة لا تضاهيها قدرة ولا حدود لها.

والدين له الأثر الأكبر في حياة الإنسان وبعث الهدوء النفسي والاستقرار والطمأنينة والصحة الجسمية والعقلية، وبالتمسك بالدين يمكن للإنسان أن يتكيف مع نفسه ومع مجتمعه ومع بيئته، وصدق الله العظيم القائل: (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا[٨٢]) {الإسراء ٨٢}، ولذلك أوصى الله سبحانه وتعالى بالتمسك بالدين فقال (وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ[١٥٣]) {الأنعام ١٥٣}.

الصحوة الإسلامية ... وماذا يراد لها ؟!

في العصر الحديث تبدو على الأفق نهضة في البلاد الإسلامية وتصحيح لمفاهيم الإسلام التي عمل الاستعمار على طمسها، وتغيير عقول أبناء المسلمين بحيث تفهم الإسلام على أنه المسجد، أما ميدان الحياة الاجتماعية ونحوه فيترك للمفاهيم الغربية، وبذلك يبقى الاستعمار ويبقى

المستعمرون من خلال أبناء المسلمين الذين يفهمون الإسلام كما يريد الغربيون.

وقد نشطت أجهزة الدعاية والإعلام وأجهزة المخابرات الغربية لتراجع حساباتها وتحاول أن تعرف مكمن الخطر عليها حتى تعمل على درئه، وقد أعلن في إيران وتركيا وظهور الشعور الإسلامي ستكون من الموضوعات الأساسية التي سيتطرق إليها البحث في المؤتمر الرباعي في غوادبلوب، كما أن كيسنجر دعا الولايات المتحدة وأوروبا واليابان إلى تحديد استراتيجية شاملة لمواجهة خطر الانهيار التدريجي للحكومات الموالية للغرب في الدول النامية.

وفي إسرائيل عقد معهد شيلوح بجامعة تل أبيب ندوة موضوعها "هل هناك احتمال لحدوث يقظة إسلامية بين المسلمين في إسرائيل ؟"، ولشارون رأي يتلخص في أنه ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام وقدرته على اجتذاب وتحريك الجماهير، وقال إن الإسلام يشكل قاعدة الحركة الوطنية عند العرب.

ويقول كيسنجر: لقد تغيرت الأمور الآن بعد ما ظهر من مصدر للخطر على إسرائيل في الحركة الإسلامية والغرب أمام خطر سيجعله يدفع الغالي والنفيس.

صحوة إسلامية عامة:

والصحافة الغربية تحس بأن هذه صحوة إسلامية عامة في جميع البلاد الإسلامية، وترى أن في هذا خطرًا على الاستعمار، وفي الوقت نفسه

فيه خطر على الزعماء الوطنيين الذين يسيرون في فلك الغرب، وهم لذلك يثيرونهم ليقضوا على هذه الصحوة.

تقول الجارديان البريطانية: (إنه لتهديد واسع الخطر يأتي الزعماء الوطنيين أن البعث الحالي يملك من القوة الكبرى ما لم يدركه المسلمون العاديون والغرب إلا مؤخرًا) ثم تقول: (أما العوامل التي أعطت هؤلاء المسلمين المتمسكين بعقيدتهم حياة جديدة من خلال السنوات الأخيرة فهي عوامل معقدة، ولكن اثنين منها لهما أهمية بارزة: الأول: هو إدراك أن الغرب الذي كان على قدر من القوة يبدو الآن غارقًا بالمشاكل والأزمات، والثاني: ناشيء من أخطار القومية العلمانية في العالم الإسلامي نفسه).

الغربيون دخلاء:

وتقول صحيفة التايمز اللندنية: (ليست هذه الصحوة مقصورة على مصر بالطبع، فهناك نسخة أكثر وضوحًا في باكستان، وهناك علامات على وجودها في إندونسيا ومؤشرات على انبثاقها في بعض مناطق في الاتحاد السوفيتي، وأما أفريقيا فقد أحرز الدين الإسلامي بعض مناطق في الاتحاد السوفيتي، وأما أفريقيا فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على المسيحية والمعتقدات الأخرى المختلفة، وعلى المستوى الدولي فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على المسيحية والمعتقدات الأخرى المختلفة، وعلى المستوى الدولي فقد أحرز ازدياد الشعور الإسلامي التضامني بعد أن احتلت إسرائيل القدس الشريف) ثم تقول: (إن المسلمين يكرهون الغرب لأنه برز واشتهر على حساب المد الإسلامي، ولأن الغربيين

جاؤوا دخلاء على العام الإسلامي وفرضوا عليه كل أنواع الخزي والعادات السيئة) وتختم الصحيفة مقالها قائلة: (إن العالم الإسلامي يعتريه اليوم تطلع وحاجة لتأكيد ذاته وهويته فبعض أجزائه يرد بعنف على الماركسية وفي الأجزاء الأخرى تتركز ردة الفعل الشديد على التفاقة الرأسمالية الغربية التي تعتبر خطرها أكبر من خطر الماركسية)، ثم تصيح الصحيفة منذرة محذرة: (الغرب اليوم أمام خطر سيجعله يدفع الغالي والنفيس بسبب عجرفته الماضية ونجاحه السابق).

عن تركيا يقولون:

صحيفة الهيرالدتربيون تعبر عن القلق الذي بدأ يساور المسئولين في الولايات المتحدة من جراء هذه الانتفاضة الإسلامية، ثم تشرح الأخطار التي تهدد إسرائيل من جراء البعث الإسلامي.

وقد كتب الصحفي سولز برجر في صحيفة الهيرالدتربيون عن حزب السلامة الإسلامي في تركيا فقال: (هو حزب قديم يمثل مجموعة دينية تخاطب غرائر القرون الوسطى من جماهير فلاحين واسعة غير متعلمة) ويلاحظ أن الحزب حديث، ولكن الصحفي يوحي بأن غرائز القرون الوسطى متخلفة على نحو ما كان في الغرب، وأن الانتشار الإسلامي لا يكون بين المتعلمين، ويقول أيضًا عن حزب العمل القومي وهو إسلامي أيضًا: (أما الحزب الذي يرأسه ألب رسلان بتركيا وهو ضابط سابق فهو حزب فاشي جديد يضم عناصر عنصرية وشوفينية ويداعب مشاعر العظمة لدى البسطاء ويسلح أنصاره الشبان بالأسلحة الإرهابية) وهكذا يتهم

الحزب بعدة تهم منها أنه يداعب مشاعر الفطرة لدى البسطاء وأنه يسلح أنصاره الشبان بالأسلحة الإرهابية، وهو بهذا يثير الحكام على الحزب لخطورته عليهم.

الإسلام عندهم هو الخطر:

وأنهم يبحثون عن سبب هذه الصحوة فيبدون أن السبب هو الإسلام والقرآن والسنة، وهذا هو الخطر عليهم الخطر الذي يهدد مستقبلهم في العالم الإسلامي فهم لذلك يعملون على القضاء عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، تقول الجارديان: (أن لب المعتقدات الإسلامية هو لب إدراك المعاني الحقيقية في الدين واعتباره نظامًا كاملًا مستقًا من القرآن ومن سنة النبيﷺ، والقرآن يضع الأسس اللازمة لكل وجه من أوجه الحياة الشخصية والاجتماعية والسياسية، على أن انتقاد المؤمنين هؤلاء للحضارة الغربية وللتحرر في العالم الإسلامي له مبرراته حيث يرى بعضهم في العودة إلى القيم الإسلامية طريقًا للخروج من مأزق العالم المادي الذي يسود حضارة العصر التكنولوجي المثقل بالتعقيد والهموم) ويرى البروفسور شارون مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي للشئون العربية أن المساجد هى الخطر على إسرائيل فيقول: (أنه ما من قوة العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الناس وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية) ويضيف قائلًا: (إن المساجد دائمًا منبع الدعوة دعوة الجموع العربية إلى محاربة الوجود الصهيوني).

وهكذا يأخذ هذا الرجل زاوية المساجد لأنه يراها خطرًا على الوجود الصهيوني في الأرض المحتلة وهو بذلك يريد رسم الطريق للقضاء على هذا الخطر كما يراه.

كيف يواجهون الخطر الإسلامي ؟

ماذا يفعلون إذًا ؟ لابد من حل هذه المشكلة، صحيفة الأيكونومست البريطانية في عددها الصادر في ١٩٧٩/١/٢٧م نشرت دراسة عن الإسلام رسمت في آخرها الأسلوب الذي تراه وهو محاولة فصل الدين عن السياسة فقالت: (لماذا يبقى الإسلام بالذات يؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية بينما لا تمتلك الأديان الأخرى المسيحية والبوذية ذلك التأثير ؟) وفي نهاية الدراسة قالت: (إن مشكلة العالم الإسلامي لن تحل إلا إذا خرجت دولة أو اثنتان منه من أسلوب التوفيق بين الدين والسياسة إلى مرحلة ما بعد الدين كما حدث في أوروبا عندما خرجت إلى مرحلة ما بعد الكنيسة فإذا نجح الطريق فسوف تسلكه الدول الأخرى).

وصحيفة الصنداي تلغراف البريطانية تبين كيف انتهى التهديد العسكري الإسلامي والسلاح الاقتصادي وما إلى ذلك فتقول: (بعد زوال الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى انتهى التهديد العسكري الإسلامي وحل محله الوجود البريطاني في الشرق الأوسط ونتج عن ذلك انتشار الأفكار والقيم الغربية وتغلغلها داخل الروح العربية وظهور جيل من القادة العرب متشوق لانتهاج الأسلوب الغربي، ولكن يبدو أن

الدول الإسلامية تنفتح على العالم بدون تبني النظم المعاصرة، كما أن بعض أجزاء العالم الإسلامي تشهد عملية تجديد للإسلام بين شعوبها مما يعتبر خطرًا جديدًا يجب البحث عن وسيلة مناسبة للتصدي له، وحتى يتم ذلك فإنه من الممكن اللجوء إلى القوة العسكرية فالإسلام يدعوا إلى تجديد الجهاد مما يحكم على المسيحيين بالانقراض والفناء).

وقالت المجلة في عددها الصادر في ١٩٧٨/١٢/١٧م تحت عنوان مواجهة الخطر الإسلامي: (إن من بين الوسائل الممكنة استعمال القوات المسلحة لأن ترك الانبعاث الإسلامي يتحول إلى نوع من الجهاد دون نواجهه بكل قوتنا سيؤدي إلى القضاء على مصالحنا بل والقيم التي نعتز بها) كما دعت إلى استعمال الاقتصاد أيضًا، ودعت الغرب إلى التحرر من عقدة الذنب التي خلفتها عهود الاستعمار وانتقدت الصحيفة بشدة المسئولين الغربيين الذين فوجئوا بالظاهرة الإسلامية لأنهم لم يدرسوا الإسلام كما كان يفعل المسئولون الغربيون في القرن الماضي حتى بداية هذا القرن.

خطر الجهاد في نظرهم:

وصحيفة الجويسن كرنكيل الإنجليزية اليهودية الأسبوعية الصادرة في ١٩٧٩/١/٥م تثير الشرق والغرب ضد اليقظة الإسلامية وإلا فإن الصحوة الإسلامية سوف تنتزع توازن قسم كبير من الكرة الأرضية، تقول الصحيفة: (سوف يصبح الجهاد الإسلامي عاملًا في سياسات القوى الدولية بما في ذلك نتائج خطيرة على بقية العالم بما في ذلك الاتحاد السوفيتي، ومن

غير المحتمل أن يحمل هذا الموقف فائدة طويلة للاتحاد السوفيتي بل العكس تمامًا هو الصحيح فدور الإسلام في الحياة اليومية لمئات الملايين في قارتي أسيا وأفريقيا كانت تتجاهله، حتى الآن حسابات المعلقين الغربيين المهتمين بقضايا عملية تتعلق بإمدادات النفط والسياسة والأمن، ولكن صانعي السياسة في الغرب سيكونون قصيري النظر إذا أهملوا الظاهرة التي تتدرج في صلب الاستفزازات الإسلامية الجديدة حيث لا توجد فقط في الأنظمة المعتدلة في العالم العربي، وإنما أيضًا في الأنظمة الأكثر راديكالية، وإذا ألقينا نظرة شاملة وجدنا أنه ليس في وسع الغرب ولا حتى الاتحاد السوفيتي أن ينظر بلا مبالاة إلى الوعي الذاتي المتنامي والثقة بالنفس عند المسلمين اللتين إذا أخطئ توجيههما أو التحكم فيهما يمكن أن تزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية).

وقد نشرت صحيفة واشنطن بوست أن البيت الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دراسة الحركات الدينية في العالم الإسلامي كله، وأن هذه الدراسة قد طلبها بريجنسكي مستشار البيت الأبيض لشئون الأمن القومي سابقًا.

والآن ماذا نفعل حتى نستطيع أن نقف أمام هذه المؤامرات ؟ لابد أن نكون منتبهين إلى الأخطار الآتية من إسرائيل والأخطار الآتية من أبناء المسلمين الذين تربوا تربية غربية وآمنوا بها، ولابد أن تكون العودة إلى الإسلام كاملة عقيدة وشريعة تربية وسلوكًا ونظامًا، والإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ والذي حفظه القرآن والسنة لابد وأن ينتصر إذ نصرنا الله

تعالى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ {محمد ٧}، حينئذ ننقذ أنفسنا من المخططات التي تحيط بنا وحينئذ ننقذ هذا العالم الحائر من الهاوية التي يوشك أن يتردى فيها.

الإسلام والمستقبل

أهمية العقيدة للإنسان:

فترات طويلة مرت على الإنسان الغربي وهو يظن أنه ليس في حاجة إلى عقيدة، وما حاجته إليها وعنده نظريات اقتصادية ونظريات اجتماعية ونظريات فلسفية تكيّف له حياته وتُنظّم له أسلوب معيشته ؟.

ثم ظهر أن هذا وَهْم لم يحقق له شيئًا مما كان يحلم به، وعاش هذه الفترات في همٍّ وضياع وقلق، وبدأ يحس بأنه في حاجة إلى عقيدة تقوده إلى الطريق السليم وتبصره بما يعود عليه بالفائدة وتجنبه طريق الزلل، حتى إن العالم البيولوجي البريطاني "هالدين" وهو أحد أقطاب الشيوعية قال: (نشعر الآن بأنه لابد من خطة أو عقيدة أو أيدلوجية بلُغَة العصر؛ على شكل دين)، ومعنى ذلك أن هذا العالم الشيوعي أدرك أن الفراغ المعنوي في القلوب يقود إلى فراغ لغوي يستعمل ألفاظًا فارغة من مدلولاتها –كما يحدث في فلسفات العصر الحديثة المطروحة في المجتمع الدولي – ومن هنا يبدأ الإنسان في الإحساس بالقلق والضياع.

العقيدة التي تصلح للبشر:

والعقيدة التي تصلح للبشر هى العقيدة التي تعنى بالإنسان من جمع نواحيه الجسمية والنفسية والعاطفية والعقلية والاجتماعية – وهى لا تكون إلا من خالق البشر – لأنه أدرى بما يَصلُح لهم وما يُصلحهم، والإنسان إذا اعتقد بدين إلهي فإنه يشعر بالاستقرار النفسي لأنه يحس أن هذه العقيدة تجمع شتاته وتوجهه إلى سلامة التفكير وسلامة النفس وسلامة الجسم، وفي ذلك حصن لسلامة عقله وسلامة نفسه وسلامة جسمه.

واذا ابتعد الإنسان عن العقيدة الإلهية فإنه يعيش في فراغ، والفراغ جحيم في النفس يملؤها خوفًا ورعبًا ويفقدها الأمن والهدوء والاستقرار، وهذا ما لمسه الذين يعيشون في أتون الحضارة الغربية، يقول الأديب الفرنسي المعاصر "لوكليزو": (الحضارة الغربية الحديثة هى حضارة حقًا – ولكنها حضارة أرضية – ولذلك فهى حضارة تعسة وبعيدة عن الجمال).

عقيدة الإسلام:

في الإسلام الكون كله مخلوق لله – وله وحده الأمر كله – والأثر العقلي الذي يترتب على الإنسان من هذه العقيدة هو أن العالم كله تابع لمركزية واحدة، والأثر العقلي يرى الإنسان في أجزائه ترابطًا ظاهرًا ووحدة في القانون، ولذلك فإن الإنسان يستطيع أن يأتي بتفسير كامل للحياة .. والفلسفات الغربية تعترف بهذا الأثر وتعترف بعجزها عن خلقه، يقول الدكتور (هوالد خوفدنج) في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة): "إن فكرة كل دين قائم على التوحيد تقوم على أن المشاكل التي تحدث بهذه الفكرة

بصورة لازمة، يخلف ذلك الاعتقاد أثرًا نافعًا على الطبيعة الإنسانية وهو أن اتباع هذا الدين يسهل لهم الاعتقاد بأن جميع الأشياء في العالم مرتبطة حسب قانون واحد فيلزم أن تكون العلة واحدة وأن يكون القانون واحدًا، وقد غرست فلسفة الأزمنة المتوسطة الدينية فكرة وجود هذه الوحدة في الكثرة المشاهدة في العالم في أذهان الناس، الفكرة التي كان الإنسان المثقف بمعزل عنها بتأثير وجود الكثرة في المظاهر الطبيعية التي كان يتيه فيها ويغوص فيفلت من يده حبل الوحدة الذي يربط بهذه الكثرة".

الإسلام والمستقبل:

الإنسان إذا لم يكن عبدًا لله تعالى فإنه سيكون عبدًا لإنسان أو لفكرة أو مذهب، وعندما يكون عبدًا لله فإنه يرتفع فوق نفسه وفوق أهوائه وفوق الناس جميعًا، والإسلام جامع لكل ما يحتاج إليه الإنسان ولكل ما يتطلبه العقل والروح والجسم والتي تكون محفوفة بنوع من التقديس وهي التي تحظى بنور الله، وهو العقيدة العملية التي تربط الإنسان بربه وبنفسه وبمجتمعه فتصبح كل خطواته هادفة ومنظمة.

والإسلام يعطي الإنسان كل ما يحتاج إليه ويجعله خليفة في الأرض، وقد أمره الله تعالى بعمارتها طبقًا للمقاييس التي جاءت في القرآن والسنة، وذلك يحميه من تيارات الحياة ومن القلق والحيرة والتمزق ويجعله يعيش في أسرة متماسكة يشعر في ظلها بالاستقرار والسكن وفي مجتمع مترابط متحاب متكامل لا تطغى فيه ناحية على ناحية أخرى.

والإسلام يحث على العلم، والمسلم كل يوم يتعلم وكل يوم يرتفع على نفسه وكل يوم يجد في نفسه القدرة على أداء واجبه بإخلاص لأن ضميره يدفعه والله تعالى يراه في كل خطوة من خطواته، ولذلك فإن الإسلام يصحح مفاهيم الحرية ويضع لها الضوابط السليمة.

والمسلم يعتبر طاقاته كلها أمانة من الله تعالى يستخدمها في مرضاته وذلك له تأثير على الأخلاق وعلى الأعمال وعلى كل شؤون الحياة، والحياة لا تقتصر على الدنيا بل هى الدنيا والآخرة، وقد بدأ الناس في العالم كله ينظرون إلى الإسلام نظرة جديدة على الرغم مما يلاقيه المسلمون لأنهم يريدون أن يحسوا بالأمن والاطمئنان، وبدأ الناس في كل مكان يدخلون في دين الله أفواجًا.

ترى هل من الممكن أن نقول: "إن المستقبل في هذا العالم للإسلام" ؟؟ نعم إن من الممكن إذا ما حملنا الرسالة كاملة واتجهنا إلى الله تعالى في كل أمورنا واعتمدنا عليه وطلبنا منه النصر والعون والتأييد.

الدولة العصرية في الرؤية الإسلامية

الدولة العصرية:

تعبير يقصد به الدولة التي تتوافق في كل جوانبها مع روح العصر الذي نعيش فيه ونساير أحدث منجزاته في شتى قيمها وأساليب التفكير والحياة فيها، إلى جانب نظم الحكم وطرق الإنتاج وعلاقتها بالآخرين من أفراد ودول.

والدولة تتكون من جماعة تعيش على أرض معينة وتخضع لسلطة سياسية حاكمة.

والعصرية يقصد بها كل ما ينسب إلى العصر الحاضر ويواكب شتى إنجازاته، وذلك يستلزم الاهتمام بالفرد والجماعة معًا بحيث يحقق التوازن بينهما بدون إهمال للفرد أو الجماعة، كما يستلزم الجمع بين الأصالة والتجديد.

والأصالة تعني التمسك بتراث المجتمع وما يتضمنه من عادات وتقاليد.

والتجديد يعنى الأخذ بأحدث معطيات العصر وأخر إنجازاته في شتى مجالات الحياة، كما يستلزم الربط بين النظرية والتطبيق بحيث يترجم الفكر النظري إلى سلوك وعمل حتى تتحقق فوائده المرجوة في التقدم فكل ممارسة عملية ناجحة لابد وأن تقوم على مبادئ نظرية، وإلى جانب ذلك فلابد من التكامل بين العلم والعمل والإيمان.

والتقنية من أبرز إنجازات العصر الحاضر حيث استطاع الإنسان أن يصل إلى الفضاء وأن يسخر العلم لمنفعته وتحقيق رفاهيته، والإيمان يحفظ الإنسان من الضياع والتكامل بين العلم والعمل الصالح، والإيمان أيضًا يحافظ على تماسك المجتمع ويمده بالطاقة الروحية التي لابد وأن تؤسس عليها الدولة العصرية مع تكاملها مع العلم والعمل الصالح.

الخصائص العامة للدولة العصرية:

ومن أهم خصائص الدولة العصرية سيطرة الروح العلمية والأسلوب التجريبي كما تستخدم أحدث ما وصل إليه العصر من تقنية وتتبع المنهج العلمي في التفكير وتوجه العلم إلى خدمة المجتمع وتستلزم بوضع خطة للبحث العلمي في التفكير وتوجه العلم لخدمة المجتمع وتلتزم بوضع خطة للبحث العلمي، ذلك لأن العلم يؤدي دورًا إيجابيًا في التنمية الاجتماعية والثقافية وغيرها، ولابد من التخطيط العلمي لتنمية المجتمع فذلك من أبرز السمات الجديدة للعلم واستغلال كافة موارد المجتمع بالأسلوب الأمثل الذي يتم طبقًا للأسلوب العلمي في التخطيط والتنمية.

والدولة العصرية تهدف إلى تحقيق الرفاهية بمعناها العلمي والاجتماعي، ولذلك فإنها تستخدم الأسلوب العلمي للتخطيط، والتنمية تهدف زيادة الإنتاج ورفع مستوى المعيشة والإكثار من الخدمات في شتى مجالات التعليم والصحة وغيرها، ولابد من أن تكون هناك عدالة في توزيع الإنتاج والخدمات على جميع فئات الشعب دون تميز أو مفاضلة.

ولذلك فإن الدولة العصرية تهدف إلى زيادة الدخل القومي بمعدل أكبر من زيادة السكان، كما تهدف إلى علاج التخلف في الدول النامية عن طريق محو الأمية ورفع المستوى العلمي والتخصص في إنتاج المواد الأولية.

والتنمية تهدف إلى تغير البنيان الاقتصادي عن طريق إقامة الجهاز الإنتاجي المتقدم في الزراعة والصناعة وغيرها، كما تهدف الدولة العصرية إلى وجود القانون المأخوذ عن طريق الشورى في إطار المنهج الإسلامي مع توفير مظاهر الحرية لكل أفراد الشعب، وأي خلل في نظام الحكم يؤثر جوهريًا في أهداف الدولة.

والدولة العصرية الإسلامية تقوم على أساس الإيمان بالله تعالى ورسله والتمسك بشتى القيم الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المأخوذة من القرآن والسنة كالحرية والعدالة والإخاء والمساواة والسلام والشورى فذلك يدعم تماسك الدولة ويحقق التوازن في مسيرة تطورها.

وأول هدف للدولة العصرية في الرؤية الإسلامية يظهر في إعداد الإنسان الصالح الذي يحس بأنه عضو في المجتمع العالمي كله وعليه أن يؤدي وظيفته في عمارة الأرض طبقًا للمنهج الإسلامي، لا المواطن الصالح الذي يقتصر صلاحه على وطنه وبالمفهوم السائد في وطنه، يقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ {العصر ١-٣}.

والإنسان الصالح هو الذي يتصل بخالقه اتصالًا كاملًا والذي يؤمن بأهمية العلم في كل جوانبه وبالعمل الصالح الذي يعود على الفرد والمجتمع بالفوائد المختلفة، كما أنه يؤمن بالعدالة الكاملة والمساواة التامة بين الناس جميعًا وبأهمية التوازن والتميز في كل شؤون الحياة، وذلك

يتحقق بأن يكون الإنسان وسطًا في كل أعماله بحيث يحقق الإخاء الإنساني الذي يزيد في محبة الناس بعضهم بعضًا، ويعطيهم الأمن والأمان والراحة النفسية.

والإسلام يستفيد طاقات الإنسان النفسية في اتجاهات عليها لا تلجأ إلى المتاع الحسي وحده، كما يستنفذ الطاقات الجسمية في اتجاهات عليا بقصد تحويل الناقص منها عن أن تستغرق في متاع الحس وهو يقر نظام المجتمع كله بصورة تحصد الدوافع الفطرية ولكنه يمنع الإسراف في كل شيء، يقول الله تعالى: (وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ) {الأنعام ١٤١}.

والسلام من أبرز القيم المطلوبة حاليًا في المجتمع العصري، والتقدم الحضاري يقتضي التعاون بين كافة دول العالم، والسلام والإخاء والتعاون على البر والتقوى من أهم سمات الدولة العصرية.

ويلاحظ أن العصر الحديث يتميز بالتقدم السريع في العلوم والفنون والسرعة الكبيرة في الاتصالات والانتقالات والتوسع أيضًا في الإنتاج الكبير في مختلف ميادين الزراعة والصناعة والخدمات وغيرها ويتطلب التوسع في الإنفاق على التعليم والتدريب المهني والعقلي وترشيد البحث العلمي وتطوير التقنية الحديثة لكي تتوافق مع الواقع العصري وعدم الاكتفاء باستيراد منجزات العلم الحديث.

والعدالة الاجتماعية تتطلب تكافؤ الفرص وأن يكون قوام الأسرة والمجتمع التمسك بالدين والأخلاق إلى جانب حماية الأمومة والطفولة والشباب، والتوفيق بين واجبات المرأة الأسرية وعملها في المجتمع في حاجة إلى عملها.

والدولة العصرية تهدف إلى تنمية الثروة البشرية برفع المستوى الروحي والمادي والعلمي والثقافي والإدارة وإلى ربط التعليم بالمجتمع وتنوع مجالات التعليم، إلى جانب ربط الجامعات والمعاهد العليا بمراكز الإنتاج، ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية يقول في كتابه (السياسة العلمية)، "إني أشعر بأني على حق أقر بأن الإسلام فيه كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة".

وهكذا نرى الدولة العصرية في الرؤية الإسلامية التي يمكن عن طريق تطبيقها أن يؤدي المجتمع الإسلامي وظيفته في عمارة الأرض طبقًا لمنهج الله تعالى، ويجعل الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، ويتحقق وعد الله تعالى في قوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٥٥)) {النور ٥٥}.

كيف نعيد للحضارة الإسلامية مجدها

مفهوم الحضارة:

الحضارة عبارة عن مجموعة من مظاهر الرقي في العالم وتطور أفراده وجماعاته من النواحي النفسية والعلمية كما تشتمل النواحي المادية بجميع فروعها، والحضارة الإسلامية أنشأت حياة إنسانية وافقت تصوره وذلك في صورة واقعية وفقًا لقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠)) {آل عمران ١١٠}، وفي ذلك قال ربعي بن عامر لرستم قائد جيش الفرس: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام".

ومن هنا فإننا نرى أن أول أهداف الحضارة الإسلامية إذا ما امتلكت عناصرها (الرقي الداخلي) نعم لقد أبطلت الحضارة الإسلامية العصبية العرقية والحقد الجنسي وشقت الطريق إلى الإخاء الإنساني وإلى العدل والمساواة وإلى نشر المحبة والمودة في كل جوانب الحياة.

وإذا ما أردنا أن نعيد الحضارة الإسلامية إلى حياتنا فلابد وأن نعمل جادين على تحقيق عناصرها في كل المجالات سواء أكان المجال المعرفي أم المجال العاطفي أم المجال السلوكي، والعناصر التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية هي:

أولًا: التوحيد:

والتوحيد يعني تنزيه الله تعالى عن كل مشابهة لما يعرفه الإنسان أو يتصوره، فالمسلم يؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الحق وهذه العقيدة هي المصدر الوحيد الذي يتلقى منها المسلم موازينه وقيمه والتي يرجع إليها بروابطه، وهذا المفهوم ينعكس على الفرد كما ينعكس على المجتمع كله وذلك يجعل المسلم عادلًا متزنًا يعطي في غير مقابل ويسير في طريق العدل والمساواة والإحسان.

ولذلك فإن عقول المسلمين وقلوبهم تلتقي على عبادة الله تعالى وتتضافر إرادتهم على عمران الدنيا وإنشاء الحضارة فيها في ضوء الإرشاد الإلهي وذلك يزود النفس بالطمأنينة النفسية والراحة القلبية ذلك لأن الإسلام نظم للمسلم حياته كلها وربط شخصيته بالله تعالى، وفي ضوء هذا الربط نظم له جوانب حياته كلها إن التزم به سار في طريق الله سبحانه وتعالى، فالإسلام يزكي الغرائز ويحارب الشر في الإنسان وباب التوبة بعد ذلك مفتوح.

والاستخلاف لا يتحقق إلا إذا تحققت عبودية الإنسان لله تعالى، وهذه العبودية هى قمة التحرر الإنساني ومناط الاستخلاف والعبادة، وهى تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء، ثم إن العبودية لله تعالى تحرر الإنسان من كل حاجة من حاجات الدنيا حتى ما يعتبر أساسًا كلقمة العيش ولذلك كان الأنبياء عزلًا من السلاح في وجه جبابرة أشداء معهم المال والجاه.

ثانيًا: العلم:

والعلم هو الأساس الثاني للحضارة الإسلامية، وقد رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلم والعلماء، وفي الإسلام لا يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون، والذين يخشون ربهم إنما هم العلماء وأول أية نزلت في القرآن الكريم (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)) {العلق ١-٥}، ومن هنا انتشر العلم في الحضارة الإسلامية وامتدت ميادين البحث والتجربة واتخذ علماء المسلمين من آيات الله تعالى في كتابه المحكم حافزًا وأفكارًا قائدة لهم في جميع نواحي الحياة، وقد لاحظ علماء الغرب أن العلم في الإسلام قد انبثق من القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك موريس بوكاي في كتابه عن "التوراة والإنجيل".

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاته الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم) {الرعد ١١}، كما يوجه إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) {الملك ١٥}.

وقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على المسلمين وهو مرتكز على العقيدة في أصفى مبادئها فخاطب العقل والقلب معًا وهى ميزة لم تشاركها فيها حضارة أخرى في التاريخ فأنشأت نظامًا قائمًا على مبادئ الحق والعدل وفكرًا قائمًا على الدين والعقيدة، وهى الحضارة الوحيدة التي لم

تنفصل فيها الدولة عن الدين والتفاضل فيها بالتقوى والخدمة العامة للناس، ثم إن العلم والتكنولوجيا النابعة منه والأخلاق التي جاء بها هي أمور لها معنى وأهمية لدى البشر ويمكن أن تصلح أساسًا لقيام حضارة عالمية واحدة.

والمذهب التجريبي في أصله مذهب إسلامي، يقول جب في كتابه "الاتجاهات الحديثة في الإسلام": (كما أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت في تقوية تقدم المعرفة العلمية العالمية مساعدة مادية ملموسة والتي – عن طريق هذه الملاحظات – قد وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى).

ثالثًا: الإنسان:

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة متماسكة من جميع النواحي في وجوده وفي حقيقته وفي رسالته في هذه الحياة، فالإنسان صاحب أمانة عهد الله تعالى بها إليه وهي عمران الأرض طبقًا لمنهج الله تعالى والتمتع بخيراتها في إطار الحق والعدل، وقد جاء الإنسان إلى الأرض بلا مشكلات لأن هذه هي طبيعية حياة الإنسان على الأرض ويستطيع أن ينشئ حضارة عن طريق المعاناة والاجتهاد والعمل المستمر والخطأ والصواب، كما يستطيع أن يقبل على وظيفته في الحياة متفائلًا مستعدًا للكفاح والجهاد، وبهذه الروح أقبل المسلمون بمثلهم وحكامهم على

عمارة الأرض وإنشاء الحضارة فيها فكان لحضارتهم عظمتها وشأنها في التاريخ الإنساني كله.

والإسلام يعمل على حفظ هذا الإنسان بكافة الطرق ومن وصله بالله تعالى وتحرير وجدانه من الخوف من أي شيء ما عدا الله خالقه، ومن ذلك أيضًا إبعاده عن كل ما يضر صحته وعقله وروحه.

فالتمتع بالصحة الجسمية والصحة النفسية أساس في الإسلام، ومن هنا فقد نظم الزواج وتربية الأطفال وحدد دور كل فرد في الأسرة، والزواج أساس الإنجاب، والصلاة والزكاة والصيام والحج أسس الصلة بالله تعالى، وقد وضح الإسلام للناس جميعًا وحدة النوع البشري فهم جميعًا من ذكر وأنثى، وقد جعلهم الله تعالى شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وطلب منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر.

والمسلم بذلك يحس بانسجامه مع الكون أيضًا، فالله سبحانه وتعالى خلق له ما في الأرض وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، والبحر ليأكل منه لحمًا طريًا ويستخرج منه حلية يلبسها، والأنعام خلقها له فيها دفء ومنافع ومنها يأكل وللناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون وتحمل أثقالهم إلى بلد لم يكنوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وخلق الخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة، وأنزل من السماء ماء لهم منه شراب ومنه شجر وبه ينبت لهم الزرع والزيتون والنخيل والأعناب زمن كل الثمرات.

والنفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة ومن نظام إلى نظام أكمل منه وأنظف ولابد من إحلال التصورات الإسلامية محل التصورات الجاهلية، والمؤمن يشعر باستعلائه بالإيمان حتى في وقت الهزيمة فهو يستعلي بشعوره وتقديره للقيم الإسلامية مع ضعف القوة وقلة العدد والمال وهو لذلك لا يتهاون أمام أية قوة لأنه يحس بأن الله تعالى معه وهو ناصره في النهاية.

ويهدف الإسلام إلى تربية الإنسان الصالح الذي يؤمن بالخير والعدل والمساواة بين الناس جميعًا والذي يسير على منهج الله تعالى في تحقيق وظيفته في هذه الحياة، كما يربيه على التوازن والوسطية في كل أعماله، وبذلك يكون متميزًا على جميع مخلوقات الله تعالى ويكون جديرًا بتحقيق وظيفته في هذه الحياة، وتمتع مجموعات من الناس بالحياة الدنيا ليس دليلًا على صحة سلوكهم ومعتقداتهم لأن كل ذلك خارج عن ميزان الإسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(١٩٧)) {آل عمران ١٩٦-١٩٧}، ومن هنا كانت وظيفة المسلمين العمل المستمر حتى يحققوا وظيفتهم طبقًا لمنهج الله تعالى.

رابعًا: المادة:

والمادة عنصر أساسي في الحضارة الإسلامية ولكنها ليست هدفًا في ذاتها إنما الهدف عمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى، والقيم الخلقية عنصر أساسي في نشاط الإنسان المسلم ولذلك فقد حرم

الإسلام وأد البنات وحرم الربا كما حرم كل ما يؤثر في الصلات الاقتصادية بين الناس كما حرم الخمر وكل ما يؤثر في عقل الإنسان وفي جسمه.

ثم إن جميع القيم الإسلامية مرتبطة من حيث التأثير والفاعلية بمجالات خاصة تتصل بالعوامل الإنسانية، ثم إن تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض لا يتحقق بقوة الجسم والمادة فحسب ولكنه يتطلب شفافية الروح والتقوى أيضًا، وخطأ الحضارات المادية أنه ركزت عنايتها على تضخيم الحياة المادية من غير أن تعير الجانب المعنوي والخلقي أي اهتمام وكانت النتيجة أن الحضارة المادية لم تستطع أن توقف حركات الانتحار والجرائم، كما أنهالم تستطع أن تخفف من السآمة التي تفتك بالإنسان الغربي.

إن النجاح المادي مرغوب فيه ولكنه ليس غاية في ذاته، فالفائدة من كل نشاط أن يكون عنصرًا في الفضائل الخلقية ولذلك فإن عبادة الله تعالى في أوسع معانيها تؤلف من الإسلام معنى للحياة الإنسانية، ونلاحظ أن رسالة الإسلام توجه الإنسان إلى العمل الدائم في جميع المجالات ومنها الصناعة كما توجهه إلى العناصر التي تعتمد عليها ومنها الحديد والانتفاع به في مجالات كثيرة ومنها رد الاعتداء، يقول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) {الحديد ٢٥}، فالحديد صنو الكتاب في أداء وظيفة الإنسان في هذه الحياة.

خامسًا: الوقت:

والوقت عنصر أساسي من عناصر الحضارة الإسلامية وهو لايقدر بمال، لذلك فإن الناس يتحدثون عن أوقات العمل التي تذهب ولا تعود ولا تسترد، وفي الأثر: (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى: يا ابن أدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة).

وأركان الإسلام تبين مدى أهمية الوقت في الإسلام فالصلاة لها أوقات محددة والزكاة كذلك، والصوم له شهر محدد وكل يوم يصوم فيه المسلم له بداية محددة ونهاية محددة، وكذلك الحج له أعمال محددة في أوقات محددة فإذا مضى وقت طويل أو قصير دون عمل فمعنى ذلك أننا فقدنا الضابط الذي يربط بين الأشياء وأهدافها لأن سياستنا تجهل وسائلها، وثقافتها لا تعرف مثلها العليا وفكرتنا لا تعرف التطبيق، والإسلام يأمر بالعمل في جميع الأوقات حتى إذا قامت الساعة وفي يد المسلم فسيلة فعليه أن يزرعها وله بذلك أجر.

خاتمة

وهكذا يتبين لنا أن صلاح الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالالتزام بتعاليم الإسلام، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (لقد كنا نحن العرب أذل الناس حتى أعزنا الله بالإسلام، فمن التمس العزة في غيره أذله الله).

ولذلك فإنه يجب على كل مسلم أن يعرف عوامل نجاح حضارته وعوامل ضعفها فيأخذ بعوامل النجاح ويبتعد عن عوامل الضعف، ويجب عليه أن يكون مبدعًا مخترعًا ملتزمًا، وبذلك يستطيع أن يكون خليفة الله في الأرض يعمرها طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

والقرآن الكريم أمر المسلمين بالسير في الكون والتفكر في مخلوقات الله ومعرفة سنن الله في الكون، ولابد من دراسة التاريخ دراسة إسلامية تتفق مع مبادئ الإسلام وتنقيته من الأخطاء التي علقت به وذلك للاستفادة من عصور القوة التي عاشها المسلمون ومعرفة أسباب هذه القوة والأخذ بها.

ولابد من العناية بالتعليم عناية كاملة وإعداد المعلم الذي يقوم بتعليم الإنسان الصالح لا المواطن الصالح، إلى جانب إصلاح المؤسسات الاقتصادية في الدول الإسلامية وإلغاء نظام الربا، وتوحيد السوق الإسلامية المشتركة لمواجهة تحديات السوق العالمية، والأخذ بنظام السياسة الإسلامية وأسباب القوة العسكرية ودراسة عوامل انتصار الجيوش

الإسلامية على غيرها على مدى التاريخ، وأن يربوا في جيوش المسلمين روح الجهاد للدفاع عن الإسلام ضد أي عدو على الأرض أو العرض أو المال أو الدين، ومعرفة فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

ويجب على الجيوش الإسلامية أن تكون قوة عسكرية مشتركة، ولابد من أن نصنع سلاحنا بأيدينا، وبذلك يصح المسلمون حاملين لرسالتهم قادرين على أداء وظيفتهم في هذه الحياة فيسعدون أنفسهم وينقذون العالم مما هو فيه، وبذلك يرضى الله عنهم في الدنيا والآخرة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفهرس

الباب الثالث